محمد هادي

مُتطلبات الصَداقة

أو

حقوق الأصدقاء



سلسلة فن التعامل مع الناس

دار
المحجة
البيضاء



مُتطلّباتُ الصَّداقة و حقوق الأُصدقاء

سلسلة فن التعامل مع الناس

متطلبات الصداقة

و

حقوق الأصدقاء

محمد هادي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م



بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧ ــ خليوي : ٠٣/٢٨٧١٧٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

المقدمة

كما لا بدّ لك من أن تدفع ثمناً لاقتناء سيارة، أو شراء بيت، أو الحصول على أي حاجة.. كذلك لا بدّ أن تدفع ثمناً لكي تكسب صديقاً لك في الحياة.

فلا شيء في هذه الدنيا بدون ثمن.

وثمن الصداقة هو ما يعبّر عنه الإسلام بأداء «حقوق الأصدقاء».

وأهمية مراعاة هذه الحقوق لا تأتي من خلال أن ذلك أمر واجب دينياً فحسب، وإنما لأن ذلك يؤدي إلى أفضل النتائج أيضاً.

فالصداقة قضية استثمار، كما أنها قضية دين ومبدأ.

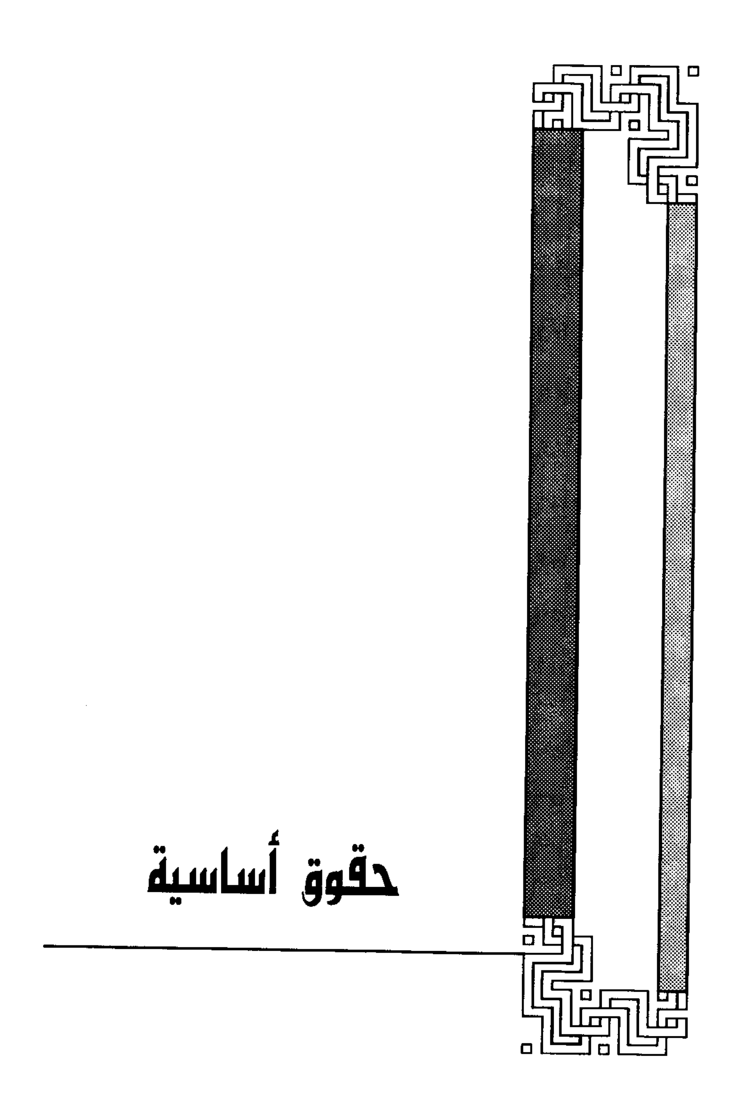
وكما أن التاجر يزداد ربحه كلّما استثمر كمية أكبر من المال في تجارته، كذلك فإن علاقة المرء بالآخرين تزداد متانة وقوة كلّما منحهم مقداراً أكبر من الحب والعطاء.

والسؤال هنا ما هي حقوق الأصدقاء؟

والجواب: إن ذلك ما يتكفل هذا الكتاب بتوضيحه إنشاء الله.

والله ولي التوفيق.

هـ.م



حقوق أساسية

حقوق الأصدقاء نوعان:

الأول - حقوق أساسية، بحيث أنها بمثابة الماء والهواء حتى أن الصداقة مستحيلة بدون أدائها.

الثاني - حقوق أخرى ترتبط بمدى ما يبتغي الواحد منّا من الصداقة، ومقدار ما يريد الاستثمار فيها.

والنوع الأول هو ما يعبّر عنه بالمداراة حيث أن الصداقة لا بد أن ترفل في إطارها وإلاّ فلن تقوم..

يقول رسول الله ﷺ.

«رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس»[1].

ويقول ﷺ.

---

(١) تحف العقول ص ٣٥.

«أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[1].

ويقول ﷺ في حديث آخر:

«أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «مداراة الرجال من أفضل الأعمال»[3]. لأنها «رأس الحكمة»[4] وهي «ثمرة العقل»[5].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال:

- «يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول داري خلقي»[6].

ومن هنا فإن:

«مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش»[7].

ويقول رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان مداراة

(١) الكافي ٢/١١٧/٤، جامع السعادات ١/٣٠٦.
(٢) تحف العقول ص ٤٠.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٨٢/ ٧٤.
(٤) شرح غرر الحكم ٤/ ٥٢.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٢٨٢/ ٤١.
(٦) الكافي ٢/١١٧/٦، جامع السعادات ١/٣٠٧.
(٧) الكافي ٢/١١٧/٥، تحف العقول ص ٣٥.

الناس في غير ترك حق»[1].

والسؤال هنا هو كيف تتم عملية المداراة؟

والجواب أنها باختصار العمل بما يقوله الإمام علي عليه السلام: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته»[2].

أي أن تقف للصديق في شدته، وتكون معه في أيام محنته، وتحفظه ـ كما تعنيه الكلمة ـ عندما يكون بحاجة إليك.. وبعبارة أخرى أن تكون له في جميع الحالات. لأن الصداقة ليست مجرد «فن» تجاري لجلب المنفعة بالأصدقاء، وإنما هي قضية مقدسة حتى أنه لا يوجد بعد الإيمان والعبادات أفضل من اكتساب أخ مؤمن، وصديق صالح.

ومن هنا جاءت الأحاديث تتواتر في حقوق الأصدقاء وحدود الصداقة.

ومجمل ما تبيِّنه تلك الأحاديث هو أن للإخوان حقوقاً أساسية في المجالات التالية..

أ ـ حق نفسي.

ب ـ حق معنوي.

---

(١) تحف العقول ص ٣٥.

(٢) التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٤/ ٨٩٢.

ج ـ حق مادي.

لذلك قال رسول الله ﷺ: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله تعالى:

١ ـ الإجلال في عينه.

٢ ـ والودّ له في صدره.

٣ ـ والمواساة له في ماله.

٤ ـ وأن يحرم غيبته.

٥ ـ وأن يعوده في مرضه.

٦ ـ وأن يشيِّع جنازته.

٧ ـ وأن لا يقول بعد موته إلا خيراً»[١].

وحتى نكون على بينة من الأمر فلا بد من تفصيل ما ذكر في هذا الحديث.

١ ـ الإجلال في العين:

وهذا يعني أن يكون أخوك كبيراً ومقدساً في نظرك، فتحترمه كما تحترم مقدساتك في الحياة...

يقول رسول الله ﷺ:

(١) جامع الأخبار للسبزواري ص ٢١٩.

«من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، أو مجلس يكرمه به، لم يزل في ظل الله عز وجل ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك»[1].

❀ ❀ ❀

٢ ـ الود في الصدر

وهو أن تكنّ له حباً عميقاً في قلبك..

وقد تسأل: وهل الحب بضاعة تشترى من السوق بحيث يكون لنا اختياره؟

والجواب: أنك عندما تضع صديقك في مكانه الصحيح فإنك حتماً سوف تحبه.

فالحب إيحاء، وليس هناك ما يفرض من الخارج على قلب الإنسان ولكن للإيحاء أبلغ الأثر في خلق الحب في القلب.

يقول رسول الله ﷺ:

«ودُّ المؤمِنِ المؤمنَ في الله من أعظم شعب الإيمان»[2].

وقد ورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام:

(١) ترتيب نوادر الراوندي ١٤٤/ح ٩.

(٢) تحف العقول ص ٤٠.

«من فضل الرجل عند الله محبته لإخوانه، ومن عرفه الله محبة إخوانه أحبه الله، ومن أحبه الله توفاه أجره يوم القيامة»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«أقرب القرب مودات القلوب»[2].

ويقول عليه السلام: «أنفع الكنوز محبة القلوب»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً لابنه الإمام الحسين عليه السلام:

«يا بني الغريب من ليس له حبيب»[4].

ويقول أحدهم: «إنما سمي الخليل خليلاً، لأن محبته تتخلل القلوب، فلا تدع فيه خَللاً إلا ملأته»[5].

ويقول أحد العلماء: «التمس وُدّ الرجل العاقل في كل حين، وود الرجل ذي التنكر في بعض الإحايين، ولا تلتمس ود الرجل الجاهل في أي حين»[6].

ويقول أحد الشعراء:

(١) ثواب الأعمال للصدوق ص ١٨٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٨٩/ ٢٠٣.
(٣) دستور معالم الحكم/ ٢٠.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ١٦٢.
(٥) أدب الدنيا والدين ص ١٦٣.
(٦) الصداقة والصديق ص ١٣٢.

لـمـودَّةٌ مـمـن يـحـبُّـكَ مُـخـلِـصـاً   خير من الرّحم القريب الكاشح[1]

وقيل للعَبَاداني: من الصديق؟

قال: «من شَهِدَ طرفه لك عن ضميره بالوفاء والود، فإنَّ العينْ أنطق من اللسان، وأَوقد من النيران»[2].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«أعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك»[3].

ويقول الشاعر:

فاستبق ودك للصديق ولا تكُنْ   قتباً يعضُّ بغارب ملحاحاً[4]

إن الإنسان إذا أوحى لنفسه أنه يحب شخصاً، فإنه سيحبه بالفعل فالإنسان لا يولد وفي قلبه حب لأحد سوى ما يجده من حب (الله) بالفطرة. وكثيراً ما وجدنا أناساً لا يحبون بعضهم.. ولكن حينما التقوا في سفر، أو عمل، تحابوا فيما بينهم.

وهكذا فإن من حقوق الصديق أن تكنَّ له وداً في صدرك.



(١) أدب الدنيا والدين ص ١٦٦.

(٢) الصداقة والصديق ص ١٨٧.

(٣) تحف العقول ص ٢١٥.

(٤) الصداقة والصديق ص ٥٠.

٣ ـ المواساة في المال

وهذا الحق هو حق مادي بينما الحقوق السابقة كانت حقوقاً معنوية ونفسية.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تعدن صديقاً من لا يواسي بماله»[١].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الإخوان ثلاثة: مواس بنفسه، وآخر مواسٍ بماله وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة، فلا تعدَّه من أهل الثقة»[٢].

وفي وصية الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام لهشام: «إن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك العليا (أي في العطاء له) فافعل»[٣].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «ما حُفظت الإخوة بمثل المواساة»[٤].

ويقول عليه السلام: «خير إخوانك من واساك»[٥].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٢٦/١٢٧.
(٢) تحف العقول ص ٢٣٩.
(٣) تحف العقول ص ٢٩١.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم

وقد روي أنَّ عتبة الغلام جاء إلى رجل كان قد آخاه فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف.

فقال: خذ الفين.

فأعرض عنه وقال: آثرتَ الدنيا على الله، أما استحييت أن تدعي الإخوة في الله وتقول هذا؟[1]

وسُئل أبو عبد الله عليه السلام: «ما حق المؤمن على المؤمن؟ فقال عليه السلام: «إنَّ من حق المؤمن على المؤمن المودَّة له في صدره، والمواساة له في ماله....»[2].



٤ ـ حرمة الغيبة

وهذا حق معنوي.. لأنه يتطلب منك الحفاظ على قدسية أخيك في غيبته، فلو سمعت من يغتابه، فإن من واجبك أن تنهاه عن ذلك، وترده. وهذا حق عليك لصديقك، كما أنه من موجبات الثواب يوم القيامة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة»[3].

---

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣١٩ـ ٣٢٠.

(٢) الكافي ٢/ ١٧١/ ٧.

(٣) اعلام الدين ٢/ ١٨٧.

ويقول الإمام أبو جعفر عليه السلام:

«من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه، نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة»[1].

وقد روي أن رجلاً نال من عرض أخيه في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله فردَّ رجل من القوم عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «ما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتهك فيه عرضه، ويستحل حرمته إلا نصره الله في مواطن يحب فيه نصرته...»[3].

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وآله: «من حمىٰ عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكاً يحميه يوم القيامة من النار»[4].

ويقول أيضاً: «من تطوَّل على أخيه في غيبة سمعها عنه في مجلس فردَّها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، وإن لم يردَّها وهو قادر على ردَّها كان عليه كوزر

(١) المحاسن ١/١٨٩/٣١٣، عين الحياة ٢/ ٣٦٢.
(٢) أمالي الطوسي ص ١١٤، أمالي المفيد ٣٣٨/ح ٢.
(٣) اعلام الدين ٢/ ١٨٧، المحجة البيضاء ٣/ ٣٩٤.
(٤) المحجة البيضاء ٣/ ٣٩٤.

من اغتابه سبعين مرة»[1].

❀ ❀ ❀

٥ ـ العيادة في المرض

وهذا حق آخر من حقوق الصديق وأدائه يمنحه الراحة والطمأنينة ويعجل في شفائه، ويُقرب القلوب.

يقول رسول الله ﷺ:

«أجيبوا الداعي، وعودوا المريض، واقبلوا الهدية، ولا تظلموا المسلمين»[2].

ويقول ﷺ: «إذا عاد المسلم أخاه المسلم وزاره قال الله تعالىٰ: «طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلاً في الجنة»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً: «أيما مؤمن عاد مريضاً خاض في الرحمة، فإذا قعد عنده استنقع فيها، فإذا عاده غدوة صلىٰ عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يمسي، وإذا عاده عشية صلىٰ عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يصبح»[4].

ويقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٩٤.
(٢) كلمة الرسول الأعظم.
(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٤٠٩، ترتيب نوادر الراوندي ١٤٤/ ح ٨.
(٤) ترتيب نوادر الراوندي ص ١٩٥.

ناديٰ العبد إلى الله تعالى فيحاسبه حساباً يسيراً فيقول: يا مؤمن ما منعك أن تعودني حين مرضت؟

فيقول المؤمن: «أنت ربي وأنا عبدك، أنت الحي القيوم الذي لا يصيبك ألم ولا نصب.

فيقول عز وجل: «من عاد مؤمناً فقد عادني».

ثم يقول له: أتعرف فلان بن فلان؟

فيقول: نعم يا رب.

فيقول: ما منعك أن تعوده حين مرض؟.. أما أنك لوعدته لعدتني ثم لوجدتني عنده، ثم لو سألتني حاجة لقضيتها لك ولم أردك عنها[١].

إن الإسلام لا ينظر إلى قالب الإنسان، ولا إلى وزنه أو طوله أو عرضه، بل ينظر إلى محتواه وحقيقته باعتباره عبداً لله تعالى وروحاً منه، مع قطع النظر عن كون جسمه فاعلاً، أو غير فاعل فالحيّ من البشر له قيمته، والمريض له مقامه، والمحتاج له اعتباره، والميت له قدسيته، وكل فرد من الناس يمثل جميع البشرية، من هنا جاءت الآية الكريمة: ﴿**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾[٢].

---

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٤١٠ـ ٤١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٢.

فالتعدي على مظلوم واحد بمثابة التعدي على الإنسانية كلها، ولا يجوز النظر إلى الإنسان باعتباره مجرد جسم، واقتصاد، وإنتاج ومنافع..

من هنا فلا يجوز أن تتمحور أهدافنا حول رفاهية الإنسان، وتوفير المتطلبات المادية له من دون أن نعير البعد الآخر للإنسان، ـ وهو بعده الروحي ـ أي اهتمام. بل لا بد من النظر إلى روح الإنسان التي نفخها الله تعالى فيه، فأكرمه وفضله على كثير مما خلق.

ولكي نعرف الفرق بين حضارة ترى للإنسان حرمة حتى بعد وفاته، وبين مدنية لا ترى أية قيمة للإنسان إلا بمقدار ما ينفع وينتج، اذكر القصة التالية:

روى لي أحد الأصدقاء قضية حدثت له عندما كان موظفاً في مركز إسلامي في المانيا الغربية.

قال: أسلم في مركزنا رجل الماني.. وبعد مدة انقطع عنا، فعلمنا أنه مريض، فقمنا بعيادته.. وقدمنا له هدية متواضعة. فتعجب الرجل وقال: هل من عادة المسلمين عيادة المرضى، وتقديم الهدايا لهم؟.

قلنا: نعم.. هذه أمور مستحبة في الإسلام، وقد أكد الرسول ﷺ عليها كثيراً.

فقال: الحمد لله الذي هداني لهذا الدين، وأضاف:

«ليست عندنا مثل هذه العادات هنا في أوروبا، وأنا في مدة مرضي لم يزرني أحد سواكم.. حتى ولدي الوحيد لم يأتِ لعيادتي ـ حتى الآن ـ ولا أتوقع منه ذلك»..

وبعد مدة زرناه مرة ثانية.. فصرح لنا بأنه يشعر باقتراب أجله.. فأخبرناه باستحباب كتابة الوصيّة، فكتبها وطالب فيها أن يدفن في مقابر المسلمين..

وبعد أيام وافته المنية، فحملنا جثمانه إلى سيارة إسعاف استأجرناها وانطلقنا بها باتجاه مقبرة للمسلمين.

وفي الطريق فوجئنا بسيّارة شرطة، وسيارة إسعاف أخرى تلاحقاننا.. وحينما اقتربوا منا أشاروا علينا بالتوقف، وبعد أن وقفنا، نزل الشرطة وكان برفقتهم (ابن الميت).

فسألونا: ما هذه؟

قلنا: جنازة فلان، (والد الشاب) فتقدم الرجل وقال: أين تريدون الذهاب بجثة أبي؟!.

قلنا: إلى مقابر المسلمين، فهذا ما جاء في وصيته.

فقال: ليس من حقكم ذلك لأنني بعتُ جثمانه بأربعة آلاف مارك إلى إحدى الشركات للتشريح.

فأخرجنا «الوصية» وأريناها للشرطة، لكنا اندهشنا حينما وجدنا أن البوليس انحاز إلى جانب ابن الميت وقال: هذه الوصية ليست قانونية.. وعليكم أن تسلّموا الجنازة إلى أصحابها.

فاحتججنا وقلنا: هذا حرام في ديننا، فالقضية دينية، وليست قضية اقتصادية أو سياسية.

لكنهم لم يقبلوا منا ذلك، وكانوا مصرين على تسلم الجنازة لولا أن اتفقنا مع (الولد) على أن نسلّمه مبلغ (٤ آلاف مارك) ثمن الجنازة!!.

وبعدها انصرفنا إلى المقبرة حيث تم دفن الجنازة فيها.

وفي مقابل هؤلاء نرى أن الإسلام يؤكد على احترام الصديق، حتى بعد وفاته، ولذلك يطلب من أخيه المسلم (أن يشهد ميتته) و (أن يشيّع جنازته). بل أن لجثة الميت كرامة خاصة إلى درجة أنه لو قطع أحد رأسه كان عليه أن يدفع لذويه مائة دينار كدية.

يقول المعلىٰ بن خنيس قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«ما حق المؤمن على المؤمن؟

قال: «سبعة حقوق واجبات ما فيها حق إلا هو واجب عليه، وإن خالفهُ خرج عن ولاية الله وترك طاعته، ولم يكن لله عز وجل فيه نصيب.

قلت: جعلت فداك حدثني ما هي؟

قال: أولها: أن تحب له ما تحبُّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحق الثاني: أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله.

والحق الثالث: أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك.

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه.

والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرىٰ، ولا تروي ويظمأ.

والحق السادس: إن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة ولا خادم، أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه، فإن ذلك كله إنما جعل بينك وبينه.

والحق السابع: أن تبرَّ قسمه وتجيب دعوته، وتشهد جنازته، وتعوده في مرضه، وتشخص بدنك في قضاء حاجته، ولا تُحوجه إلى أن يسألك ولكن تبادر إلى قضاء حوائجه، فإن فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته وولايته بولاية الله عز وجل[1].

ويبدو أن مسألة عيادة المرضى، وتشييع الجنازة لا تختص بالأصدقاء فهي ضرورية بالنسبة إلى كل الناس فكيف بالأصدقاء..

---

(١) الخصال ٣٥٠/ ح٢٦.

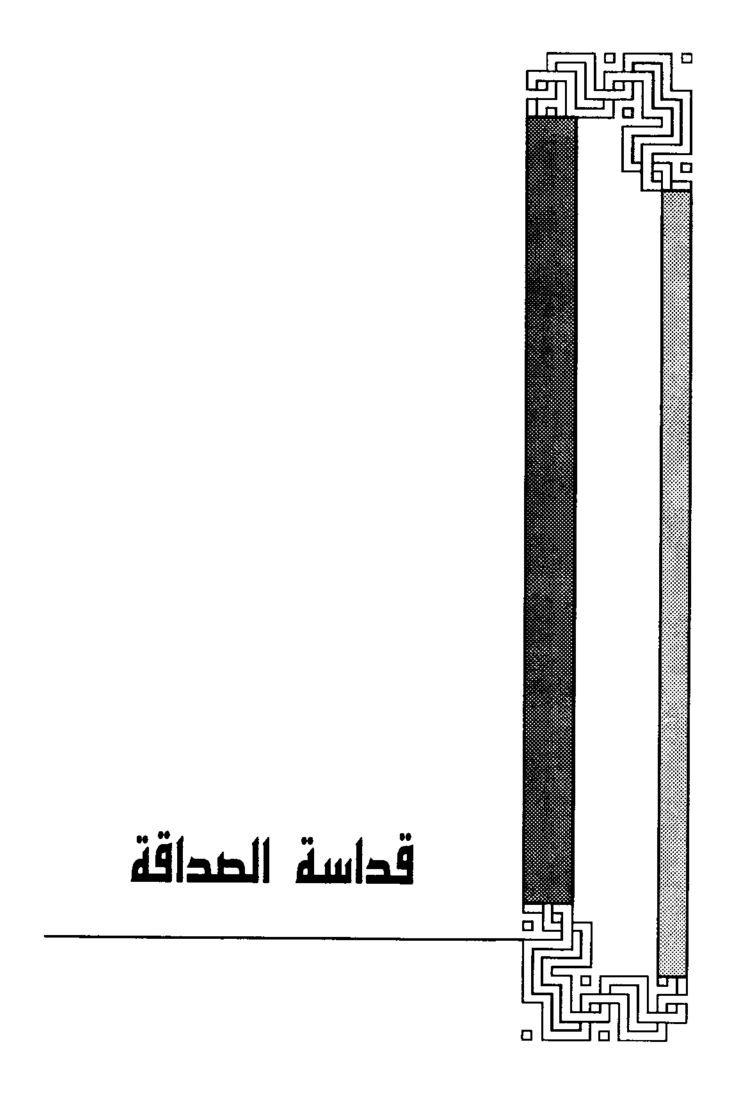
يقول الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم. إن الله يقول في كتابه: **﴿وقولوا للناس حسناً﴾**[1].

وأضاف عليه السلام: «عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلوا معهم في مساجدهم، حتى ينقطع النفس وحتى تكون المباينة»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٢) تفسير العياشي ١/٣١٣/١٦.



قداسة الصداقة

الصداقة بحاجة إلى المبادرة في العطاء والإحسان إلى الصديق بمقدار ما هي بحاجة إلى الرد الجميل، والعدل في المعاملة.

فالصداقة شجرة تنمو في أجواء الإحسان، أكثر مما تنمو في أرضية العدل.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته المعروفة برسالة الحقوق:

«وأما حق الصاحب فإن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلا فلا أقل من الإنصاف، وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودة.. تلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربه، ومعونته على نفسه، فيما لا يهمّ به من معصية ربه، ثم تكون عليه

رحمة ولا تكون عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله»[1].

إن المال ليس ملك الإنسان، بل هو ملك الله جل وعلا.. فلماذا يتعامل معه البعض بعقلية أنانية، ويتصور أن من حقه أن يعيش غنياً مرتاح البال، بينما يموت الملايين بؤساً وجوعاً وحرماناً؟!

لقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، وهو يوزع الأموال والغنائم، وقال: «يا محمد اعدل، فإن هذا المال ليس لك».

فقال رسول الله ﷺ: «صدقت، هذا ليس لي».

إن فضل الله على الإنسان ليس في أن يرزقه مالاً كثيراً، بل في أن يجعل من ماله نعماً توزع على المحتاجين وخيراً يستفيد منه الناس.

وقد جاء في دعاء للإمام السجاد عليه السلام: «اللهم وأجر للناس على يديَّ الخير»[2].

فالخير لا بد وأن يجري على يد إنسان ما، إن لم تكن أنت فهو غيرك، فحاول أن تحظى أنت بذلك..، فإن لم تفعل فلا تتصور أن غيرك لن يفعل.. وإن لم تساعد فقيراً، ولم تنصر حقاً فلا تظن أنه لا يوجد من يساعد الفقير، أو من ينصر الحق.

---

(١) تحف العقول ص ١٩١، الخصال ٥٦٤/ح ١.

(٢) الصحيفة السجادية ص ٩٩.

إنها سنة الله، أن يستبدل المتقاعس في أداء الحقوق، بغيره.

يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[1].

ولذلك جاء في الدعاء: «اللهم اجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري»[2].

وإذا لم تستطع أن تصحب أخاك بالمبادرة في الفضل والإحسان إليه فإنه **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[3] وفي هذه الحالة لا أقل من «الإنصاف» بأن ترد جميله بجميل مثله وحسب تعبير الإمام السجاد: «أن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك»[4].

«ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة»[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) كتب الأدعية.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) تحف العقول ص ١٩١.

(٥) تحف العقول ص ١٩١.

هل رأيت كيف يتسابق الأطفال في الاحتفال لأخذ نصيبهم من الحلوى حينما يُنثر عليهم؟، هكذا ينبغي أن يتنافس الأصدقاء إلى المكرمات، ويستبق بعضهم الآخر.

ولكن إذا سبقك صاحبك في المكرمة، فينبغي أن يكون ردّك عليه بمكرمة مثلها.. وأفضل مكرمة هي أن تلتزم بالصدق والنصيحة تجاهه. وأن تحافظ عليه، وتعضده على طاعة الله، وتعينه على مقاومة نفسه إذا همَّ بمعصية ربه.

«ثم تكون عليه رحمة ولا تكون عليه عذاباً»[١].

وإضافة إلى ذلك فإن الإسلام يطلب من المؤمن أن ينزع من صدره الحقد على أخيه، فربما تبغض أخاك لسبب من الأسباب، وهنا لا بد لك أن تبادر وتزيل الضغينة من صدرك، وواجبك ألا تكتفي بتهدئة نفسك بل بإرضاء أخيك بالاعتذار إليه أيضاً.

يروي أحدهم قصته مع مستأجر داره قائلاً: «كان لي بيت أجّرته لشخص، ومرت عدة أشهرو هو لم يعطني الإيجار، وكنت في حاجة ماسة إلى المال، فاضطررت لأن أضغط عليه، لكنه لم يدفع لي شيئاً، فهددته بالطرد وتقديم شكوى ضده، إلاّ أنه بقي على عناده، ثم صممت أن أواجهه وأصب عليه جام شتائمي، لعله يستجيب ويرد عليّ حقي، لكني ترويت قليلاً وفكرت بتعقل وأدركت أن هذا العمل لا

---

(١) المصدر.

يحل المشكلة فضلاً عن أنه يكسبني إثماً ومعصية، وتغير مجرى تفكيري وقررت أن أعامله باللطف واللين والاحترام، فقمت بزيارته، وقدمت له التحية وبعد أن أذن لي بالدخول، لم أفاتحه بموضوع مال الإجارة، بل ظللت أسأل عن صحته وأحواله، حتى فاتحني هو بالموضوع.. فطفقت أعتذر له عما بدر مني من معاملة سيئة، وتعللت له بأنه ربما كان في ضائقة مالية وليس من حقي أن أضغط عليه.

فقاطعني الرجل وقال: الصحيح هو عكس ما تقول، فأنا المخطىء معك ومن واجبي أن أعتذر لك.. ثم قدّم لي مال الإجارة!.

وبهذه الطريقة البسيطة استطعت أن أحمله على دفع ما عليه».

إذن فاحترام عواطف الناس، وإزالة الضغائن من الصدور هو الطريق الكفيل بتحقيق روابط التعاون والأخوة بينهم..

يقول الحديث الشريف: «إن كان أخوك عليك عاتباً، فلا تفارقه حتى تسل سخيمته»[1]، ومعنى «سلُّ السخيمة» هو نزع الحقد والضغينة من النفس.

فبدل أن نواجه الأصدقاء بوجوه معاتبة لا بد أن نواجههم بالبشر والترحاب لنملأ قلوبهم المحبة.

---

(١) أمالي الصدوق ٢٦٥ـ ٢٦٦/ح ١٣.

يقول رسول الله ﷺ:

«حسن البشر يذهب بالسخيمة»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«البشر يطفىء نار المعاندة»[2].

يقول الشاعر:

ولاقِ ببشر من لقيت تكن له صديقاً وإن أمسىٰ مُغِّباً على حقدِ[3]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«أَلبشر أوَّلُ البرِّ»[4].

ثم إن الإسلام يريد من الأصدقاء أن يعيشوا فيما يسمى «بالحالة الواحدة» فالقرآن الكريم يقول: **﴿ولا على أنفسكم﴾** (أي لا جناح عليكم) **﴿أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم، أو بيوت أمهاتكم، أو بيوت إخوانكم، أو بيوت أخواتكم، أو بيوت أعمامكم، أو بيوت عمّاتكم، أو بيوت أخوالكم، أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه، أو صديقكم، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾**[5].

---

(١) تحف العقول ص ٣٨.

(٢) غرر الحكم ١/ ١٥٠.

(٣) الصداقة والصديق ص ٢٤٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٢٢/ ٣٤٩.

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

فلا تمانع من أن يدخل صديقك في غرفتك، ويأكل من زادك وأنت غير موجود.

لقد سأل رجل ذات يوم أحد العلماء قائلاً:

ـ: «لو أن شخصاً دخل بيت صديقه من دون علمه، ثم توضأ فيه وصلى، فهل صلاته صحيحة؟

قال العالم: ـ «نعم.

قال الرجل:

ـ «حتى لو لم يأخذ الإذن منه؟.

قال العالم: نعم.

قال الرجل: ولكن لعل «صديقه» لا يرضى بذلك؟

قال العالم: لا عليه، فوضوئه صحيح، وصلاته صحيحة.

قال الرجل: لو لبس حذاء صديق، وخرج وتوضأ به ثم صلى فهل يجوز له ذلك؟.

قال العالم: نعم يجوز.

فتعجب الرجل من هذه الفتوى من العالم.

فقال: «إن الشرع المقدس يؤكد على عدم الغصب في محل الوضوء والصلاة، فكيف تجوز ما سبق، بالرغم من أن

الحذاء يعتبر مغصوباً والمكان حراماً»؟.

فقال العالم: إذا بحثت في صيغة السؤال الذي تفضلت به فسوف تجد لفظ (الصديق)، فأنت تقول: «لو دخل رجل بيت صديقه» أو «لبس حذاء صديقه» فما دام أنّه صديقه فإن من المفروض أن تكون له صلاحية أن يدخل بيته وان يلبس حذاءه، من دون حاجة إلى إذن مسبق منه، وإذا لم يرض بذلك فهو ليس صديقاً من وجهة نظر الإسلام».

إن بعض الناس ربما يشمئز من التعامل معهم بهذا الشكل، ولكن هذا مسموح به في الإسلام وهو ما يطلق عليه بـ «إذن الفحوى».

إلاَّ أن «الفحوى» لها حدود، يجب ألاّ يتعدّاها الإنسان، متستراً بأغطية شرعية.

ثم أنه كما يُطالب الإسلام الأصدقاء بأن يُعطوا للآخرين، فإنه يطالب أن لا يخجل الإنسان من أن يسأل صديقه عندما يحتاج إلى شيء، فالحديث يقول:

«أحبب أخاك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك وأكره له ما تكره لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإذا سألك فاعطه، ولا تدخر عنه خيراً، فإنه لا يدخر عنك، كن له ظهيراً، فإنه لك ظهر، إن غاب حفظته في غيبته، وإن شهد فزره وأجلَّه وأكرمه، فإنه منك وأنت منه»[١].

---

(١) أمالي الصدوق ٢٦٥ـ ٢٦٦/ح ١٣.

لنتصور جماعة تعيش في مثل هذا الجو الذي جاء في الرواية: فكل واحد منهم يحترم الآخرين، فلا تحقير في الكلام، ولا صدود في العمل، ويرفل الجميع في أجواء صداقة وأخوة، وعطاء متبادل وتسابق في الإكرام، وتسابق في العطاء، ترى كم يكون هذا المجتمع سليماً، ومرضياً عند الله تعالى؟.

إذا كان البعض يمدح بعض المجتمعات لوجود قانون «الضمان الاجتماعي» فيها، فإن الإسلام يجعل لكل إنسان حقوقاً مثل الضمان الاجتماعي على مليار من البشر، فإذا احتاج المسلم لشيء فإن على مليار إنسان أن يتسابقوا لرفع حاجته.. فهل هناك أفضل من هذا المجتمع؟

ثمّ إن قضاء حاجة المؤمن مستحب حتى وإن أدى ذلك إلى قطع الطواف حول البيت، فبالرغم من أن للطواف أحكام الصلاة، إلاّ أنه يجوز قطعه لقضاء حاجة مؤمن.

يقول ابان بن تغلب: كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة فأشار إلي، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه، فبينا أنا أطوف إذ أشار إلي أيضاً فرآه أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان إياك يريد هذا؟

قلت: نعم.

قال: فمن هو؟

قلت: رجل من أصحابنا.

قال: هو على مثل ما أنت عليه؟

قلت: نعم.

قال: فاذهب إليه.

قلت: فهل أقطع الطواف؟

قال: نعم.

قلت: وإن كان طواف الفريضة؟

قال: نعم.

فذهبت معه ثم دخلت على الإمام عليه السلام بعد قضاء مسألته.

فقلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن؟.

فقال عليه السلام: يا ابان دعه لا ترده.

قلت: بلىٰ جعلت فداك.

قال: يا أبان لا ترده.

قلت: بلىٰ جعلت فداك، فلم أزل أردد عليه حتى قال عليه السلام: يا أبان تقاسمه شطر مالك». . ثم نظر إليَّ فرأىٰ ما دخلني، فقال: «يا أبان أما تعلم أن الله تعالىٰ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟

قلت: بلىٰ جعلت فداك.

فقال: أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر[1].

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن المطلوب ليس هو العطاء المطلق لكل من يدعى الصداقة، وإنّما للصّديق فعلاً ومن هنا فلا بد من أخذ حدود الصداقة بعين الاعتبار وذلك ما شرحه الإمام الصادقعليه السلام بقوله:

«لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منه. وإلا فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة:

فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة.

والثانية: أن يرىٰ زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات[2].

وهكذا فإن حدود الصداقة الحقيقية هي كالتالي:

أولاً ـ أن يكون صادقاً في ادعائه الصداقة أي «أن تكون

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٥٦ـ ٣٥٧.

(٢) تحف العقول ص ٢٧٠.

سريرته وعلانيته واحدة». ومن ثم تكون نابعة من القلب.

ثانياً ـ أن يرى مصلحته مع مصالح أصدقائه. فيرى «زينك زينه وشينك شينه» فلا يرتاح عندما يصيبك مكروه، ولا يحسدك عندما تنجح.

ثالثاً ـ أن لا يصاب بالغرور فيتكبر على زملائه إذا أحرز النجاح مالياً أو اجتماعيًا. وبعبارة أخرى «أن لا تغّيره ولاية ولا مال».

إن بعض الأصدقاء يسقط في حمى الغرور والطغيان عندما تزداد أرباحهم، ويتمردون على زملائهم بمجرد حصولهم على منصب بسيط.

يقول الشاعر:

كم من أخٍ ليس تُنكِرهُ ... ما دمتَ في دنياك في يُسْرِ
مُتَصنعٍ لك في مودته ... يلقاك بالترحيب والبشرِ
فإذا عدا (والدهر ذو غِيَرٍ) ... دَهر عليك، عدا مع الدهرِ
فارفض جمال مودة من ... يَقلى المُقِل وَيعشق المُثري
وعليك من حالاه واحدةٌ ... في العسر إمَّا كنتَ واليسرِ[1]

ويقول شاعر آخر:

شَرُّ الإخلاّءِ من كانت مودته ... مع الزمان إذا ما خاف أو رَغِبا
إذا وَتَرْتَ أَمرأً فاحذر عَدَاوتَهُ ... مَن يزرعِ الشوك لا يحصد به عنبا

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٦٦.

إن العَدُوَّ وإن أَبدىٰ مسالمةً   إذا رأىٰ منك يوماً فرصةً وَثبا[1]

❀ ❀ ❀

قمت ذات يوم بزيارة موظف في دائرة جوازات بلد خليجي وعندما دخلت عليه بادرته بتحية «السلام عليكم» ولكنه لم يرد سلامي، واستمر ينظر في الأوراق التي أمامه وبقيت واقفاً أنتظر فراغه، وبعد فترة غير قصيرة رفع رأسه قائلاً»: «نعم. ماذا تريد؟

قلت له: «أريد أن أقول لك: إن هذه الطاولة التي أمامك ليست «الكرة الأرضية» وهذه الأقلام التي عليها ليست صواريخ عابرة للقارات، تستطيع أن تنسف بها الأرض وقتما تشاء وتتحكم بها في مصير الناس كما تشاء، وإنما هي مجرد أخشاب، وأعواد، فلماذا هذا التكبر، والتجبّر؟

فما كان منه إلاَّ أن أطرق برأسه خجلاً ولم يحر جواباً.

لقد روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قوله:

«ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبر قال له: «أتضع وضعك الله» فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعه الله عز وجل، ثم قال له: «انتعش نعّشك الله» فلا يزال أصغر الناس

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٧٧.

في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس[1].

ويقول عليه السلام:

«ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلّةٍ وجدها في نفسه»[2].

رابعاً ـ «أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته».

فإذا تمكن من رفع مكروه أو سد حاجة؛ فليس له ـ كصديق ـ أن يمنع يده عن ذلك، وإذا لم يتمكن فلا حرج عليه.

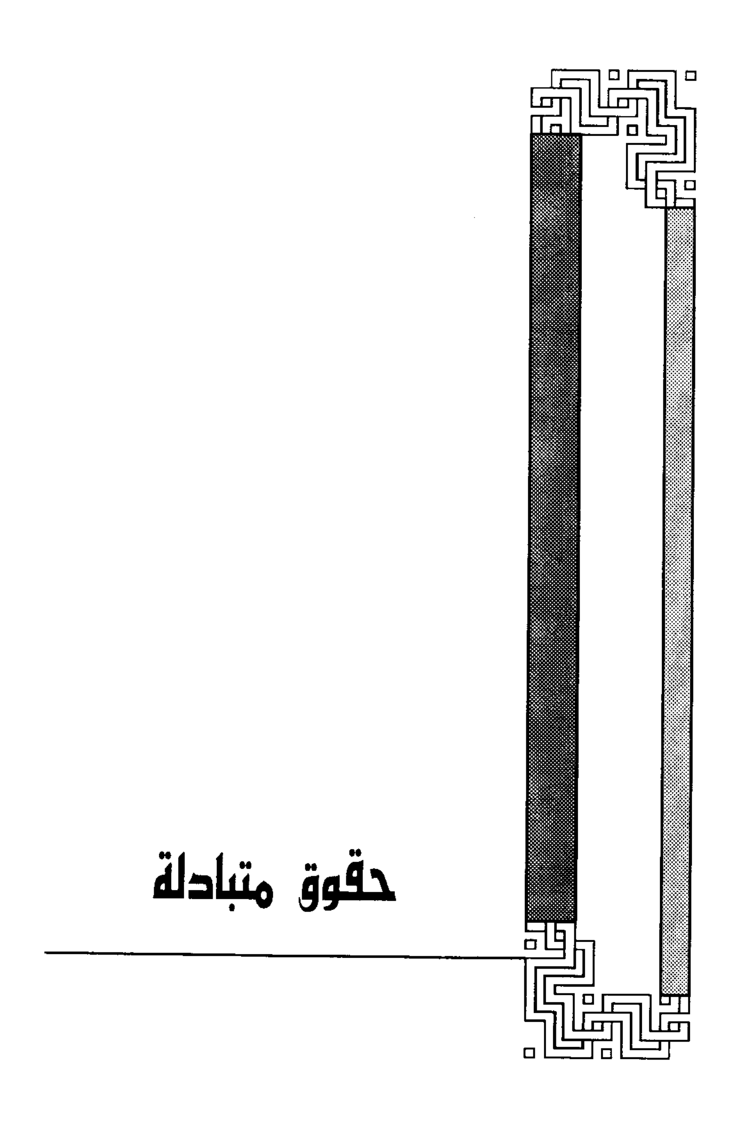
خامساً ـ «أن لا يسلّمك عند النكبات».

فلو عرف الصديق أن صاحبه ملاحق من قبل حكومة ظالمة فهو لا يتخلى عنه، بل يقف معه حتى النفس الأخير.

فليس صديقاً من يتخلى عن رفاقه في الشدائد.. ويسلمهم إلى النائبات في النكبات.

(١) الكافي ٢/٣١٢/١٦.

(٢) الكافي ٢/٣١٢/١٧.



حقوق متبادلة

«ثلاثون حقاً»

يقول رسول الله ﷺ:

«للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً، لا براءة له إلا الأَداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعىٰ ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافىء صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ خليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ويعادي عدوه، وينصره ظالماً أو مظلوماً ـ فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ـ ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه.. ويكره له من الشر ما

يكره لنفسه، ولا يبرأ المسلم يوم القيامة من هذه الحقوق. إلاّ إذا أداها، أو نال من صاحبه العفو[١].

❀ ❀ ❀

ولا بد من وقفة خاطفة عند هذه الحقوق.

١ ـ العفو عن الزلاّت

إن صديقك ليس ملكاً من الملائكة، ولا نبياً من الأنبياء وإنما هو بشر، يصدر منه الزلل ويخطىء ويصيب، ومن حقه عليك أن تغفر له زلته، وتتجاوز عن خطيئته، وتتعامل معه كبشر في كل الحالات.

قال بعض الشعراء:

إذا ما بدت من صاحب لك زلَةٌ ... فكن أنت مُحتالاً لزلته عذرَا
أحب الفتىٰ ينفى الفواحش سمعُهُ ... كأن به عن كل فاحشة وَقْرَا
سليمُ دواعي الصبر لا باسطاً أذًى ... ولا مانع خيراً ولا قائلٌ هُجرَا[٢]

ويقول ابن صفي:

«من شرَّد نفَّر، ومن تراخى تألَّف، والشرف في التغافل»[٣].

---

(١) كنز الفوائد ١/٣٠٦.
(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٨١.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٨١.

ويقول أبو مسعود كاتب الرَّضي: كنا في مجلس الرّضِي، فشكا رجل من أخيه، فأنشد الرَّضي:

إعذِرْ أخاك على ذنوبهْ ... واستر وغضَّ على عُيوبِهْ
واصبر على بَهتِ السفيهِ ... وللزمان على خطوبِهْ
ودع الجواب تفضُّلاً ... وكِلِ الظلومَ إلى حسيبِهْ
واعلم بأن الحلم عند ... الغيظ أحسنُ من ركوبهْ[1]

ويقول بشار بن برد:

إذا كنتَ في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبهْ
فعش واحداً أو صلْ أخاك فإنه ... مفارق ذنب مرة ومجانبهْ
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذىٰ ... ظمئت وأي الناس تصفوا مشاربهْ[2]

ولا يجوز للصديق أن يحتفظ بزلّة صديقه ليستعملها كسلاح ضده في يوم من الأيام.

يقول الإمام علي عليه السلام: «شر الناس من لا يَعفو عن الهفوة ولا يستر العورة»[3].

ولقد قِيْلَ لخالد بن صفوان أي الإخوان أحب إليك؟

فقال: الذي يغفر زللي ويسد خللي[4].

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٨٠.
(٢) كنز الفوائد ١/ ٩٦.
(٣) تحف العقول ص ١/ ٤٠٥/ ٦٣.
(٤) كنز الفوائد ١/ ١٠٠.

وقال ابن الرومي:

فَعذرك مبسوط لذنبٍ مقدَّم ووِدك مقبول بأهل ومَرْحَبِ
ولو بَلغتني عنك أذْني أقمتُها لديّ مُقام الكاشح المتكذب
فلستُ بتقليب اللسان مُصارماً خليلاً إذا ما القلبُ لم يتقلبِ[1]

وقال الأحنف بن قيس:

«حق الصديق أن تحمل له ثلاثاً:

«ظلمَ الغَضَب، وظلمَ الدالَّة، وظلمَ الهفوة»[2].

وقال الشاعر:

إذا أنت لم تترك أخاك وزلة إذا زلها أَوْشكتُما أن تَفرَّقا[3]

إن من حقوق الصفح، الكشف عن سبب الهفوة، ليعرف الداء فيعالجه، فإن لم يُعرف الداء، لم يقف على الدواء.

يقول المتنبي:

فإن الجرح يَنْغُر بعد حينٍ إذا كان البناءُ على فسادِ[4]

فإن كان الزلل لُوحظت أسبابه، فإن كان لها مَدخل في التأويل، وشبهة تُؤل إلى جميل، حمله على أجمل تأويل، وصرفه إلى أحسن جهة.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٥.
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٥.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩.

يقول رسول الله ﷺ:

«أوصاني ربي بسبع: الإخلاص في السر والعلانية، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة»[1].

* * *

٢ ـ المواساة في المصائب

قد يبتلى صديقك بمصيبة، فإذا رأيته كذلك فإن من واجبك تجاهه أن تخفف عنه حزنه وتهون عليه رزيته.

يقول رسول الله ﷺ:

«من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطّفه بها، وفرَّج عنها كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»[2].



٣ ـ ستر العورة

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٢١.

(٢) الكافي ٢/٢٠٦.

«من حق المؤمن على أخيه: أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»[1].

وستر العورة لا تعني التغطية على باطل الصديق، وإنما تعني عدم نشر أخطائه وعدم التعمد في الكشف عن نقاط ضعفه، ذلك أن الأصدقاء عادة ما يعرفون ـ بحكم العشرة الطويلة ـ أخطاء أصدقائهم ونقاط ضعفهم أكثر من الآخرين. ومن حقوق الصداقة عدم نشر ذلك.

يقول رسول الله ﷺ:

«لا يرىٰ امرء من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة»[2].

ويقول ﷺ أيضاً:

«يا معاشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه: لا تغتابوا الناس، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته لفضحه ولو كان في جوف بيته»[3].

فمن واجب الصديق إذا رأى بادرة سيئة من أخيه أن

---

(١) مشكاة الأنوار ص ١٩١.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٥، احياء علوم الدين ٢/ ١٨٢.
(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٦.

يسترها والله ـ سبحانه وتعالى ـ يحذر من نشر الفواحش، ويقول: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾**[1].

ويقول رسول الله ﷺ:

«من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عَيَّر مؤمناً بشيء، لم يمت حتىٰ يركبه»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»[3] [4].

يقول ابن سنان:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟.

قال: نعم».

قلت: تعني سفليه؟

قال: ليس هو حيث تذهب إنما هو إذاعة سرِّه[5].

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٧، المحاسن ١/ ١٨٩/ ٣١٤.
(٣) سورة المؤمنون، آية: ١٨.
(٤) المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٧.
(٥) المحاسن ١/ ٣١٧، المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٧.

وحتى الذنوب فإن من واجب الصديق سترها على أصدقائه..

يقول الإمام الباقرعليه السلام:

«يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة»[1].

ويقول الإمام عليعليه السلام:

«لو وجدتُ مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي» أو قال: «بثوبه، هكذا»[2].

وجاء عنهعليه السلام حين قال له النبيعليه السلام:

«لو رأيت رجلاً عل فاحشة؟.

قال الأمامعليه السلام: أستره.

قال النبي صلى الله عليه وآله: إن رأيته ثانياً؟

قال عليعليه السلام: استره بأزاري وردائي إلى ثلاث مرات.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: «لا فتىٰ إلا عليّ»[3].



(١) الكافي ٢/ ٣٦٠.
(٢) الكافي ٢/ ٢٠٧.
(٣) مستدرك الوسائل ١٢/ ٤٢٦.

٤ ـ إقالة العثرات

من صفات المؤمن، أن يمتلك قلباً كبيراً، وصدراً رحباً، يستوعب بهما عثرات إخوانه وأخطائهم.

وأي إنسان عاقل يدرك بأن وجود بعض العيوب والسلبيات هي من الأمور الطبيعية عند البشر، فإذا ما اكتشف من أخيه شيئاً من ذلك، لا ينصدم بها ولا يتعقد منها، ولا ينقطع عنهم بسببها.

فهو كالبحر الذي يبدو في ظاهره هادئاً جميلاً، بينما يخفي في داخله ألف عالم مضطرب وغريب، وكما جاء في الروايات فإن المؤمن، تجاه إخوانه، «حزنه في قلبه وبشره في وجهه»!.

ومن هنا فإن من واجبات الأصدقاء فيما بينهم ستر العورات، وإقالة العثرات، وقبول الأعذار.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«شر الناس من لا يَقبل العُذرَ ولا يَقبلُ الذنبَ»[(١)].

ولعلّ من الأفضل أن يتم التغاضي عن الأخطاء بدون الحاجة إلى الاعتذار.

يقول الإمام علي عليه السلام: «شر إخوانك من أحوجك إلى

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٤٠٣/١٤.

مداراة، وألجأك إلى اعتذار»[1].

وهنا لا بدّ من قطع جذور المشاكل من خلال حسن الظن بالصديق.

يقول الحديث: «لا يفسدنك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له»[2].

ويقول الحسن بن وهب:

«من حقوق المودة أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن تقصير، إن كان»[3].

وقال بعض البلغاء: «لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعَرَفت فضله، وبَطَنت عقله: عيب خفي، تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر هفوة سائلة، فإنك لن تجد ما بقيتَ مهذباً لا يكون فيه عيب، ولايقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعد ألاّ تراها بعين الرضا، ولا تجري فيها على حكم الهوىٰ، فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، مما ي يسُك مما تطلب، ويعطِفُك على من يُذنب»[4].



---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٤٠٣/٢٨.
(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٧٥.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٧٤.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ١٧٤.

٥ ـ رد الغيبة

يقول الله تعالىٰ: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً.. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾[(١)].

ويقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لا يكون الصديق لأخيه صديقاً حتىٰ يحفظه في نكبته وغيبته، وبعد وفاته»[(٢)].

وإذا كانت الغيبة محرمة في الإسلام، وهي انتهاك صارخ لحقوق الآخرين، فإن من الحرام أيضاً الاستماع إلى الغيبة من دون ردها.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«السامع للغيبة كالمغتاب»[(٣)].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«السامع للغيبة أحد المغتابين»[(٤)].

وجاء عنه عليه السلام:

«سامع الغيبة شريك المغتاب»[(٥)].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢٠.
(٢) تحف العقول ص ١٥٧.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٥٦/١٢١٥.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٠/١٦٣٩.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٣٩٦/٦٦.

إنه قد يبدو للبعض بأن الغيبة أمر هين، وخطأ يسير، ولكن هؤلاء ينسون أن الأخطاء الصغيرة هي التي تسقط الأمم وتمزق المجتمعات.

ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «يسير الغيبة إِفك»[1].

لقد أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية، ذات مرة، إحصائية عن حالات الطلاق، فتبين أن من كل زيجتين فإن واحدة منهما تنتهي إلى الطلاق، وأن أسباب الطلاق هي أتفه الأشياء.

فالعقد الزوجي المقدس ـ والذي يعتبره الإسلام نصف الدين ـ ينفرط بسهولة، والسبب هو سوء تفاهم بسيط، أو خلاف تافه، وكثير من الأسباب تعود إلى عادة الغيبة، أو التهمة، أو الكلام الفارغ.

وكما قال أحدهم:

«إنني لست حزيناً لانهيار الحب بيني وبين زوجتي، وإنما أنا حزين لأن هذا الانهيار جاء بسبب أتفه الأمور».

وما يجري في الأسرة، يجري أيضاً في المجتمع، فهو يتماسك بالحب والصداقة والعطاء والاحترام المتبادل، بينما يتفكك لأتفه الأسباب، وعلى رأسها «الغيبة». . وخطورة

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٧٨/٣.

الأخطاء الصغيرة تكمن في عدم الشعور بها... فقد يشعر الزاني بأنه ارتكب خطيئة، وقد يشعر القاتل بتأنيب الضمير، ولكن من يمارس الغيبة لا يشعر بأنه قام بقتل مجتمع بأسره عن طريق أكل لحوم الناس!.

قال الله تعالىٰ:

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجتنِبُوا كثيراً من الظَّنِ إِنَّ بَعضَ الظَّنَ إِثمٌ، ولا تجسَّسُوا، ولايَغتَبْ بَعْضُكم بعضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يأكُلَ لَحمَ أخيه ميتاً فكرِهتُموهُ؟ واتقوا الله، إنَّ الله تَوابٌ رحيم﴾[1].

والأنكى من ذلك أن البعض لا يدرك معنى الغيبة، فضلاً عن آثارها الخطيرة على المجتمع، فإذا اغتاب شخصاً، ثم نهيته عن ذلك، قاطعك قائلاً:

«كلا.. أنا لم أغتبه، فما قلته موجود فيه بالفعل»!.

وهذه هي الغيبة ذاتها.. لأن الغيبة هي أن يذكر المرء أخاه بما هو موجود فيه.

إن الافتراء على الناس أو التقول عليهم يعتبر «بهتاناً»، وهو أعظم من الغيبة. أما أن تقول فيهم ما هو فيهم فهو الغيبة بعينه.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

ولقد روي أنه ذُكِرَ رجل عند رسول الله ﷺ.

فقالوا: ما أعجزه».

فقال رسول الله ﷺ: «اغتبتم صاحبكم.

قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه.

فقال ﷺ: «إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه»[١].

ثم إنّ «الغيبة» حينما تصبح مسألة عادية لكثرة ما يرتكبها البعض تتحول إلى أعظم الذنوب. كما يقول الإمام علي عليه السلام: «أعظم الذُّنوبِ عند الله ذَنبٌ صَغُرَ عند صاحبه»[٢].

ويقول عليه السلام:

«أشد الذنوب عند الله سبحانه ذنب استهان به راكبه»[٣].

ثم إنَّ للغيبة بالإضافة إلى آثارها المدمرة على المجتمع، فإنها تعود على مرتكبها عقاباً يوم القيامة.

إلاّ أن على من يتعرض للغيبة أن لا يعطيها أكثر من حجمها، لأنها «تنفعه» من جهة أنها تغسل عنه ذنوبه، فهي بمثابة الهدية الثمينة التي تقدم له من دون أي جهد يبذل منه.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) المحجة البيضاء ٥/٢٥٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٩٥/ ٣١٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٩٥/ ٣١٨.

«يؤتىٰ بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله، ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول:

- «إلهي، ليس هذا كتابي، فأني لا أرىٰ فيها طاعتي؟

فيقال له:

«إنَّ ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس». ثم يؤتىٰ بآخر ويدفع إليه كتابه فيرىٰ فيه طاعات كثيرة، فيقول:

- «إلهي، ما هذا كتابي، فإني ما عملت هذه الطاعات!

فيقال: لأن فلاناً اغتابك، فدُفعتْ حسناته إليك»[1].

إذن ما قيل عنك، إنما يزيدك أجراً وثواباً في الآخرة، ولا ينقص من شأنك شيئاً، وهو لا يستدعي منك أن تغضب، وتنتقم.

وفي هذا المجال يذكر أن رجلاً اغتاب الشيخ البهائي (رضي الله عنه) وحينما عرف أن الشيخ البهائي سمع بمقالته كتب له رسالة مفصلة يعتذر له فيها ويطلب منه أن لا يغضب لما قال فيه، ولكن الشيخ البهائي بعث إليه برسالة جوابية جاء فيها: «إنني أشكرك على هذه الهدية، فإنني أحتاج إليها يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت،

(١) جامع الأخبار للسبزواري ٤١٢/ح ١١٤٤.

وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

ثم ذيل رسالته بالآتي: «وعلى ماذا أغضب؟ أمن هدية أهديتها لي؟ وهل هناك أفضل من مثل هذه الهدية؟».

أما الأحاديث الواردة في حرمة الغيبة فهي كثيرة نكتفي منها بما يلي:

عن رسول الله ﷺ:

«كذب من زعم أنه وُلد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، واجتنبوا الغيبة فإنها إدام كلاب النار»[1].

وقال ﷺ أيضاً:

«من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهُما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير»[2].

وعن سليم بن جابر قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: علّمني خيراً ينفعني الله به.

فقال ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تصبَّ

---

(١) المصدر ٤١٣/ح ١١٤٥

(٢) جامع الأخبار للسبزواري ٤١٣/ح ١١٤٥.

من دلوك في إناء المستقي، وإن تلقي أخاك ببشر حسن، وإذا أدبر فلا تغتبه»[1].

وفي رواية أخرىٰ، عن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الزِّنا وعظم شأنه فقال:

«إنَّ الدِّرهم يصيبه الرَّجل من الرِّبا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنيها الرجل، وأربى الربا عرض الرجل المسلم»[2].

ولا شك أن للزنا آثاراً نفسية وخيمة على الفرد، وبالتالي على المجتمع، ولكن الربا آثاره أخطر على صعيد المجتمع، لأنه يدمر الاقتصاد، ويكرس الطبقية، ويثري فيه الخاصة على حساب العامة.

ولكن إذا كان للمتاجرة بجهود المحتاجين، وعرق الكادحين هذه النتائج السيئة على المجتمع، فإن للمتاجرة بأعراض الناس وكرامتهم نتائج أكثر سوءاً وأبعد خطراً.

يقول أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ:

ـ «يا أبا ذر إياك والغيبة فإِنَّ الغيبةَ أشدٌّ من الزنا.

فقلت: يا رسول الله، لماذا بأبي أنت وأمي؟

---

(١) حلية المتقين ص ٤٧٦.

(٢) المحجة البيضاء ٥/ ٢٥١.

قال: «لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتىٰ يغفرها صاحبها»[١].

وروى أن رسول الله ﷺ أمر بصوم يوم فقال: «لا يفطرن أحد حتى آذن له».

فصام الناس حتىٰ إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول:

«يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر».. فيأذن له، وهكذا حتىٰ جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلّتا صائمتين وأنهما تستحيان أن تأتياك فأذن لهما أن تفطرا» فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده. فقال النبي ﷺ:

«أنهما لم تصوما، وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس؟».

وأضاف ﷺ: «إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرىٰ فجعلتا تأكلان لحوم الناس (أي بالغيبة)»[٢].

ثم إنه كما تحرم الغيبة، فإنه يحرم الاستماع إلى من يغتاب.

---

(١) المحجة البيضاء ٥/٢٥٣.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

يقول رسول الله ﷺ قوله: «ما عمّرَ مجلس بالغيبة إلا وخرب من الدين، فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لهما شريكان في الإثم»[1].

فإذا حضرتَ مجلساً وسمعت غيبة فمن واجبك أن تمنع من يغتاب وتوقفه عن الاستمرار فيها وإذا فعلت ذلك فإن لك أجران: أجر نصيحة المغتاب، وأجر ردِّ الغيبة عن الغائب.

أما إذا استعصت عليك النصيحة، وتمادي المغتاب ولم يكترث لقولك، فعليك بمغادرة المجلس.. كل ذلك حتىٰ لا تقع الغيبة فإنه لو لم يجد المغتاب من يستمع إلى الغيبة، لم يفعل... وهكذا تكون برد الغيبة قد وطدت دعائم الإخاء في المجتمع.

يقول أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهدوي:

«سمعت علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام يقول: أوحىٰ الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه: «إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه».

«فلما أصبح مضىٰ فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف، فقال لنفسه: أمرني ربي عز وجل أن آكل هذا وبقي متحيراً، ثم رجع إلى نفسه فقال: إن ربي جل جلاله لا يأمرني إلا بما

(١) جامع الأخبار للسبزواري ١١٤٦/٤١٣.

أطيق، فمشى إليه ليأكله فلما دنىٰ منه صغر حتىٰ انتهىٰ إليه فوجده لقمة فأكلها، فوجدها أطيب شيء أكله.

«ثم مضىٰ فوجد طستاً من ذهب فقال لنفسه: أمرني عز وجل أن أكتم هذا، فحفر له وجعله فيه، وألقىٰ عليه التراب، ثم مضىٰ فالتفت فإذا الطست قد ظهر، فقال لنفسه: قد فعلت ما أمرني عز وجل.

«فمضىٰ فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال: أمرني ربي عز وجل أن أقبل هذا، ففتح كمه فدخل الطير فيه، فقال له البازي: أخذت مني صيدي، وأنا خلفه مُنذ أيام، فقال لنفسه: أمرني ربي عز وجل أن لا أويس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه.

«ثم مضىٰ فإذا هو بلحم ميتة منتن مدوَّد، فقال: أمرني ربي عز وجل أن أهرب من هذا، فهرب منه ورجع، فرأىٰ في المنام من قال له:

ـ «إنك قد فعلت ما أُمرت به، فهل تدري ماذا كان؟

«قال: لا.

«فقيل له: أما الجبل فهو الغضب، إن العبد إذا غضب لم ير نفسه، وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكن غضبه، كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلتها، وأما الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد فأخفاه

أبىٰ الله عز وجل إلا أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، وأما الطير فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة فأقبله وأقبل نصيحته، وأما البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه، وأما اللحم المنتن فهي الغيبة فاهرب منها[1].

إن ضرورة الهروب من الغيبة تأتي من أنّها تؤدي إلى أمرين سيئين: الأول - أنّها تكشف السوءات. الثاني - أنها تمزق المجتمع.

وقد ورد في الحديث: لما رجم النبي ﷺ: «ماعزاً» في الزنا، قال رجل لصاحبه: «هذا أقعص القلب» فمرّ النبي ﷺ معهما بجيفة، فقال لهما: انهشا منها.

فقالا -: «يا رسول الله جيفة؟!

فقال ﷺ: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[2].

❀ ❀ ❀

٦ - قبول المعذرة

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا تُضيِّعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه

(١) الخصال ٢٦٧ - ٢٦٨/ ح ٢.
(٢) المحجة البيضاء ١/ ١٤١/ ٧٠٥.

ليس لك بأخ من أضعت حقه. ولا يكن أهلك أشقىٰ الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد فيك، ولا تزهدن فيمن رغب إليك، إذا كان للخُلطة موضعاً. ولا يكوننَّ أخوك أقوىٰ على قطيعتك منك على صلته ولا يكوننَّ على الإساءة أقوىٰ منك على الإحسان. وأقبل عذر أخيك فإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً. ولا تكثرن العِتابَ فإنه يُورِث الضغينة ويَدْعُوْ إلى البغضاء واستعتب لمن رجوت إعتابَهُ[1].

وفي الحقيقة فإنه ليس من الصواب ألا يعترف إليك صاحبك بخطئه، ولكن الأعظم من ذلك أن لا تقبل معذرته حينما يأتي إليك نادماً.

فقبول العذر من علامات الكرامة الإنسانية فـ «العذر عند كرام الناس مقبول».

ترى: من هو أكرم من في الوجود.

إنه بلا شك واهب الوجود. وهو الباري عز وجل؟

فهل أنت أعز منه تبارك وتعالى؟.

ألا ترى كم، يرتكب الإنسان من الذنوب، ثم عندما يرفع يديه في نهاية النهار معتذراً إلى الله، ويقول: «اللهم اغفر لي زلتي فإن عدت إليها فعد عليّ بالتوبة» فيغفر له ربه ويقول

(١) تحف العقول ص ٧٩.

جل من قائل: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم﴾**[1] هذه طريقتنا مع الله، وتلك طريقته معنا.

والأغرب من ذلك، أن العبد أحياناً يعصي ثم يتوب، فيبدل الله سيئاته حسنات.

يقول الله تعالى:

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً﴾[2].

فلو زنا الرجل، وركبه الشيطان، ثم تاب توبة نصوحاً، وعمل صالحاً، فإن الله لا يمحو من صحيفة أعماله تلك الفاحشة العظيمة فحسب، بل يكتب مكانها الحسنة.

فإذا كان الرب يقبل التوبة والمعذرة، فلماذا لا يقبلها العباد فيما بينهم؟

إن على المؤمن أن يكون أول المتخلقين بأخلاق الله،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٨ ـ ٧٠.

ومن صفات الله أنه سريع الرضا!

فإذا كانت هذه أخلاق الله، فكيف بنا ونحن لا نملك لأنفسنا نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً؟

لقد جاء في الأحاديث أن العبد قد يعصي ولا يتوب، ثم يموت، ويحشر يوم القيامة مذنباً تؤتي بحسناته وسيئاته وتوضع على كفتي ميزان، فترجح كفة السيئات، فيحكم به إلى النار.

ثم يلتفت العبد إلى الله قائلاً: «الهي ما كان ظني بك هكذا؟

فيقول الرحمن إلى ملائكته: «كذب عبدي، ولكن أجيزوا له كذبته».

ثم يُؤمر به إلى الجنة!.

إن العبد قد يحتال على الرب، فيكذب بعد أن يكون قد ارتكب الموبقات، ومع ذلك فإنه حينما يتظاهر بالتوبة فإن الله يقبل معذرته.

فإذا كان ربُّ السموات والأرض هكذا يعامل العبيد..

فكيف بنا ونحن عباد مربوبون، ونتماثل في الخلق فيما بيننا؟.



٧ ـ تقديم النصائح باستمرار

من الحقوق المتبادلة بين الأصدقاء حق إسداء النصيحة.

وهنا لا يكفي أن تسدي إلى صديقك النصيحة مرة أو مرتين ثم تيأس وتتوقف وتقول: «لقد حاولت معه، لكنه لا يقبل النصيحة».

بل يجب عليك أن تستمر في اسداء النصيحة له، ولو عشرات المرات حتى يقبلها فأنت مكلف بهداية أخيك، وليس مجرد أن تقوم «بإسقاط الواجب معه».

يقول رسول الله ﷺ:

«لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«النصح يورث المحبة»[2].

وذلك أن «النصيحة من أخلاق الكرام»[3] كما أن «الغش من أخلاق اللئام»[4].

وللنصيحة ثواب عظيم.

---

(١) الكافي ٢/٢٠٨.

(٢) غرر الحكم ١/٣٤٢.

(٣) غرر الحكم ١/١٦١.

(٤) المحجة البيضاء ٥/٤٠٦.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه (تعالى) بعمل أفضل منه»[1].

وهي ليست من المستحبات بل «يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصحه»[2].

ثم إن «النصيحة تورث الود»[3] - كما يقول الإمام علي عليه السلام -.

ولا بدّ هنا من التنويه إلى أن النصيحة يجب أن تكون في السرّ ومن دون أن تجرح المنتصح.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«نصحك بين الملأ تقريع»[4].

وكما يجب تقديم النصيحة للأصدقاء فإن على هؤلاء قبول النصيحة من الناجحين. يقول الحديث الشريف:

«من قبل النصيحة سَلِمَ من الفضيحة»[5].

و «لا تردن على النصيح»[6].

فإن «مُناصِحُك مشفق عليك، محسن إليك، ناظر في

---

(١) غرر الحكم ١/ ٣٤٢.

(٢) الكافي ٢/ ٢٠٨.

(٣) غرر الحكم ١/ ٩٢٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٩٦/ ١٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ١٨٦/ ٦٩٧.

(٦) غرر الحكم ٦/ ٢٨٧.

عواقبك مستدرك فوارطك، ففي طاعته رَشادك وفي مخالفته فسادك»[1].

❀ ❀ ❀

٨ ـ حفظ الأخوّة

الصديق، جوهرة ثمينة، لا بد من الحفاظ عليه، وذلك بتعهُّدِهِ وتمتين العلاقة معه..

ترى لو كنت تملك «الماسة» كيف كنت تتعامل معها؟.

هكذا يجب أن تعامل أصدقائك.

يقول أحد الشعراء:

عاشر أخاك على ما كان من خُلُقٍ   واحفظ مودته بالغيب ما وصلا
فأطول الناس غماً من يريد أخاً   ذا خِلَّةٍ لا يرى في وده خللا[2]

إنك لا بد أن تتوقع من الصديق الأخطاء وسوء التفاهم، ثم يأتي دورك لتزيل كل هذه الشوائب ولتجدد العلاقة بينكما بأفضل ما كان، ولكن إذا تركت الأخطاء والحساسيات الصغيرة تتراكم فإنها ستؤدي إلى انقطاع الصلة بينكما.

فاعتبر الصداقة، على الأقل، بمثابة «غرفة الجلوس» التي لا بد وأن يغزوها الغبار بمرور الزمن ولكنك سرعان ما

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ١٢٨/٢٨٥.

(٢) الصداقة والصديق ص ١٦٥.

تقوم بتنظيفها بعد ذلك، لكي تعود إلى رونقها السابق.

❀ ❀ ❀

٩ ـ رعاية الذمة

إن للمؤمن كرامة عند الله لا بد من رعايتها. ومن كرامته، رعاية ذمته..

ترى هل هناك أشد من الحرب؟.

لنتصور معركة ضارية نشبت بين المسلمين والكفار، ثم ارتأى أحد المسلمين أن يعطي الأمان للكافرين لمدة ثلاثة أيام، فلا بد أن يتقيد كل المقاتلين من المسلمين بذلك، لأن أعدآئهم أصبحوا في ذمة ذلك المسلم، ويجب عليهم أن يراعوا ذمة أخيهم، حتى وإن لم يراجع إلى قيادته بخصوص ذلك الأمان.

وإذا كانت رعاية الذمّة واجبة في حالة الحرب، مع المحاربين. فكيف بذمة الصديق؟ ألا تجب رعاية ذمته؟.

❀ ❀ ❀

١٠ ـ عيادة المريض

وهو الحق العاشر من حقوق الأصدقاء. فإذا مرض المرء فإن من واجب كل أصدقائه القيام بزيارته.

وفي ذلك تمتين لأواصر المحبّة من جهة، وثواب عظيم من جهة أخرى.

يقول الإمام الباقرعليه السلام:

«كان فيما ناجى به موسىٰ بن عمران ربّه عز وجل إن قال له: «يا رب ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟

فقال تعالى: «أوكل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره»[1].

ويستحب أن يحمل المرء هدية ما إلى صاحبه، مهما صغرت، كرمز للمحبّة. وفي ذلك روى أن مولى للإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال:

«مرض بعض مواليه فخرجنا نعوده، ونحن عدة من مواليه فاستقبلنا الإمام في بعض الطريق فقال:

«أين تريدون؟

فقلنا: نريد فلاناً نعوده.

فقال لنا: قفوا..».

فوقفنا.. فقالعليه السلام:

«مع أحدكم تفاحة أو سفرجلة أو أترجة أو لقمة من طيب أو قطعة من عود؟

فقلنا: ما معنا من هذا شيء.

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٤١٠.

قال: أما علمتم أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل به عليه»[1].

ومع الهدية لا بد من الدعاء للمريض وطلب العافية له.

يقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا دخل أحدكم على أخيه عائداً له فليدع له فإن دعاءه مثل دعاء الملائكة»[2].

وأتذكر سابقاً بأن المعلم في المدرسة الدينية كان يسأل باستمرار عن تلامذته، فإذا غاب أحدهم كرر السؤال عنه، وإذا استمر في الغياب ثلاثة أيام فإنه كان يبعث إلى بيته من يستفسر عن أحواله، فإذا تبين بأنه مريض فإنه كان يذهب لعيادته في بيته، فعيادة الصديق ضرورية لحفظ الصداقة وللإبقاء عليها، ولكسب الأجر والثواب أيضاً.



١١ - حضور الجنازة

إذا مات صديقك فلا بد من حضور جنازته. فإن من حق الميت أن يحضر أصدقاؤه جنازته وأن يقوموا بتشييعه حتىٰ قبره.

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٤١١.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٤١١.

إن للتشييع ثواباً عظيماً عند الله لمن يشيع الميت، أما الميت نفسه فليس له من ثواب المشيعين إلاّ بمقدار ما يستغفرون الله له.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«من حمل أخاه الميت بجوانب السرير الأربع محىٰ الله عنه أربعين كبيرة من (الذنوب) الكبائر»[1].

وفي الحقيقة فإن التشييع يكشف عن الاحترام العميق بين الأصدقاء. فالإنسان محترم عند الله حتى وإن كان رضيعاً أو طفلاً أو شاباً أو كهلاً وحينما يموت فإن الله يفترض له حقاً على الناس الذين يعرفونه وهو حق التشييع لجنازته.

وأساساً فإن تشييع الجنازة مدرسة للمؤمنين، فكم من إنسان يموت فتدفع جنازته الناس إلى الصلاح وفعل الخير؟



١٢ ـ إجابة الدعوة

من حق المؤمن على أخيه إجابة دعوته، في المناسبات. سواء كانت دعوة إلى طعام، أو دعوة إلى حفل.

وليس من الحق في شيء ما يفتخر به البعض قائلاً: إن

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٤١٥.

كثيرين يدعونني إلى بيوتهم ولكنني عادة لا أجيب دعوة أحدا!. فالفخر أن يستجيب المرء لدعوة كل من يدعوه وخاصة الأصدقاء لأن المؤمن ـ عند التعامل مع الآخرين «لين العريكة» و «ألف مألوف».

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوصي الشاهد من أمتي والغائب أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فإن ذلك من الدين»[1].

ويقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

«من حق المسلم على المسلم أن يجيبه إذا دعاه»[2].

ويقول رسول الله ﷺ:

«من أعجز العجز رجل دعاه أخوه إلى طعام فتركه من غير علة»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من الحقوق الواجبات للمؤمن على المؤمن أن يجيب دعوته»[4].

ويقول رسول الله ﷺ:

---

(١) المحاسن ٤١١/ح ١٤٢.
(٢) المحاسن ٤١٠/ح ١٤٠.
(٣) المحاسن ٤١١/ح ١٤٦.
(٤) المحاسن ٤١١/ ح ١٤١.

«من لا يجيب الدعوة فقد عصى الله ورسوله، ويكره إجابة من يشهد وليمته الأغنياء دون الفقراء»[1].

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو قدوتنا في الحياة يستجيب لدعوة العبيد ويقول:

«لو دُعيت إلىٰ ذراع شاة لأجبت»[2].

❀ ❀ ❀

١٣ ـ قبول الهدية

إذا قدم صديقك لك هدية فمن حقه عليك أن تقبلها منه.

يقول رسول الله ﷺ:

«تهادّوا تحابّوا، فإنها تذهب بالضغائن»[3] أي قدموا الهدايا لبعضكم البعض لكي تزداد المحبة بينكم.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لأن أهدي لأخي المسلم هدية أحب إلي من أن أتصدق بها»[4].

---

(١) دعوات الراوندي ١٤١/ح ٣٥٠.
(٢) المحاسن ٤١١/ح ١٤٤.
(٣) الخصال ٢٧/ح ٩٧، جامع السعادات ٢/ ١٥٠.
(٤) جامع السعادات ٢/ ١٥١.

ويقول عليه السلام:

«من تكرمة الرجل لأخيه المسلم، أن يقبل تحفته وأن يتحفه بما عنده، ولا يتكلف له شيئاً»[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«لو أهدي إليّ ذراع لقبلت»[2].

إن الهدية في الحقيقة رمز للمحبة، ومن يرفضها فكأنما يرفض المحبة ذاتها.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الهدية تجلب المحبة»[3].

وجاء في الأمثال العربية قولهم: «لا يرد الهدية إلاّ الحمار».



١٤ ـ مكافأة الصلة

من الحقوق المتبادلة بين الأصدقاء المكافأة بالمثل، فإذا قام صديقك بعمل ما تجاهك، فأنت مطالب بأن تكافىء

(١) جامع السعادات ٢/ ١٥١.
(٢) جامع السعادات ٢/ ١٥١.
(٣) غرر الحكم ٢/ ٢٩١/ ٥.

عمله، فإن قدّم لك خدمة فلا بدّ أن لا تنساها حتى تقدم له خدمة مماثلة.

فالمطلوب أن يرد الصديق الخدمة بالخدمة، والهدية بالهدية، وعمل الخير بعمل الخير، والكلمة الطيبة بالكلمة الطيبة، ولقد كان كل الصالحين في التاريخ من النوع الذي لا ينسى أية خدمة تُسدى إليه، بينما ينسى كل فضيلة أسداها هو إلى الآخرين.

يقول الله عز وجل: **﴿وإذا حيّيتم بتحية فحيّوا بأحسن منها، أو ردّوها﴾**(١).

ولقد روي عن أنس: أن جارية للحسن بن علي عليه السلام حيّته بطاقة من ريحان قدمته له، فقال لها: «أنتِ حرة لوجه الله».

فسئلوه عن ذلك.

فقال: «أدبنا الله تعالىٰ فقال **﴿إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها﴾**(٢) وكان أحسن منها (أي أحسن من هديتها) اعتاقها»(٣).



(١) (٢) سورة النساء، آية: ٨٦.
(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤/١٨.

١٥ ـ الشكر على النعمة التي يحصل عليها

إن المجتمع السليم هو مجتمع التنافس على الخير والفضيلة، وليس مجتمع الحسد والتباغض، فإذا حصل واحد من الأصدقاء على نعمة فإن على إخوانه أن يشكروا الله عليها، ويطلبوا منه تعالى أن ينعم عليهم بمثلها، ولكنهم لا يجوز أبداً أن يحسدوا صاحبها عليها، أو يطلبوا أن يحرمه الله ويعطيهم على حسابه، بينما المجتمع المريض ينتشر فيه الحسد، فكلما حصل واحد منهم على نعمة، تمنى الآخرون إزالتها منه، وحصولهم عليها.

صحيح أن الكل منا يريد أن يحصل على الخير، إلاّ أن المؤمن لا بدّ أن يشعر بأن أخاه لا يفرق عنه، فهو يريد الخير للآخرين قبل أن يريده لنفسه. ومن هنا فإن المجتمع السليم، مجتمع يغبط بعضه بعضاً في الصالحات، ويتنافس فيه الجميع على الخيرات، ويسارع فيه الجميع لعمل المبرّات.

وبكلمة فإن المجتمع السليم يتشكل من الذين يصفهم ربنا بقوله:

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً﴾(١).



---

(١) سورة الحجر، آية: ٤٧.

١٦ ـ الانتصار للصديق

عندما يطلب أحدهم من إخوانه حاجة معينة فإن من واجبهم أن يستجيبوا له. بل أن يحسنوا هذه الاستجابة، فإذا انتخاهم فإن عليهم أن لا يقتصروا على مقدار إسقاط الواجب، وإنما يتجاوزوا ذلك إلى حسن النصرة.

وحسن النصرة تعني رد النائبات عن الإخوان بكل ما يملكون.

إن المجتمع السليم يجب أن يرد بعضه كيد العدو عن بعض، فإذا تألم أحد أفراده، فإن من واجب زملائه أن يتحملوا الآلام من أجل نصرته.

يقول رسول الله ﷺ: «من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يردَّ عن عرضه يوم القيامة»[١]، فإذا كان عرض الصديق مهاناً، وسمعته في خطر، أو عائلته في خطر، أو حريته في خطر، فإن من يوفق لرد الخطر عنه، يوفق لرد الله تعالى عن عرضه يوم القيامة.

يقول رسول الله ﷺ: «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار»[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٢٦١.

(٢) عين الحياة ٢/ ٣٦٢.

«ما من مؤمن يخذل أخاه، وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة»[1].

إن من يرد حاجة مؤمن في دحر عدو، فهو في الحقيقة يستهين بالله (عز وجل) ومن هنا فإن الله سينتقم منه ويخذله.

وقد لا يكون البعض قادراً على مساعدة من يتعرض للملاحقة والمطاردة أو أي خطر مماثل آخر، ولكن باستطاعته حتماً أن يطلب من غيره، أن يقوم بنصرته. فقد لا تكون أنت قادراً على أن تأوي مطارداً من قبل الظالم، ولكن بإمكانك حتماً أن تكون وسيطاً بينه وبين من يقدر على ذلك. فواجبك أن لا تقصّر في مثل تلك الوساطة.

إن من يتعرض للمطاردة، قد يأتي إلى بعض الإخوان، ويطلب منهم مساعدته للفرار من السلطات الجائرة، فلا يفعلون ذلك، خوفاً من أن تطلبهم السلطات غداً وتعذبهم، ولكن ألاّ يقدر هؤلاء على أن يرشدوه على الطريق؟ ويساعدوه في بعض الأمور، وليتحمل الكل المسؤولية، لأن من يخذل أخاه يخذله الله في الدنيا والآخرة.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «شرّ الإخوان الخاذل»[2].

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ١٤٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٤٠٤/ ٣٧.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر رمضان واعتكافه في المسجد الحرام»[1].

ومما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتهك فيها عرضه، ويستحل حرمته، إلا نصره الله في مواطن يحبُّ فيه نصره، وما من امرىء خذل مسلماً في موطن ينتهك فيه حرمته، إلا خذله الله في موضع يحبُّ فيه نصرته»[2].

والمطلوب ليس هو نصرة من يطلب النصرة فحسب، وإنما نصرة الغائب أيضاً، حتى في مثل رد التهمة والغيبة عنه.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصر ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة»[3].

إننا قد لا نحتاج إلى نصرة إخواننا ولكننا نحتاج إلى نصرة الله حتماً، وما دام أن الله ربط نصرته بقيامنا بمسؤولية نصرة الإخوان، فلننصرهم لكي نضمن نصرة الله، ولينتظر من

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ١٤٧.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٩٤.
(٣) المحاسن ١٠٣/ح ٨١.

يخذل إخوانه عند النائبات، أن يخذله الله عند الحاجة إليه!.

ثم إن قيمة الصديق تظهر عندما يتعرض المرء لنائبة.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«في الضيق تتبيّن حسن مواساة الرفيق»[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من قضىٰ لأخيه حاجة، حاجّهُ الله بها وقضىٰ الله بها مائة حاجة إحداهن الجنة، ومن نفّس عن أخيه كربة نفّس الله عنه كربه يوم القيامة بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له أعانه الله على إجازة الصراط عند دحْض الإقدام، ومن سعىٰ له في حاجة حتى قضاها له ـ فسر بقضاءها ـ فكان كإدخال السرور على رسول الله، ومن سقاه من ظمأة سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عري كساه الله من استبرق وحرير، ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسو من الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتهنه ويكف وجهه ويصل به يديه يخدمه الولدان، ومن حمله في رحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته فكأنما كساه يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٥٣/٣١.

أحب أهله إليه، ومن عاده عند مرضه حفته الملائكة تدعو له حتىٰ ينصرف ويقول طبت وطابت لك الجنة.. واللهِ لقضاء حاجة أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام[1].

ترىٰ كم يحتاج الواحد منا، إلى إعانة الله عند العبور على الصراط، الذي تصفه الروايات، بأنه أدق من الشعر، واحدّ من السيف، ويمتد على النيران وعندها مزلة الأقدام؟..

فلماذا لا نساعد إخواننا المؤمنين، في مواجهة النائبات، لكي نضمن إعانة الله لنا على الصراط؟.

أتدري ما قيمة أن يضمن لك الله العون على الصراط؟.

يكفي أن نعرف خطورة الموقف هناك من القصة التالية.

حينما سُئل أحد الصحابة: ألحيتك أفضل أم ذيل الكلب؟

أجاب: «إن جاوزت الصراط بلحيتي، فهنالك أعرف أنها أفضل من ذيل الكلب، وإن لم أتجاوز الصراط بها، فهذا يعني أن ذيل الكلب أفضل من لحيتي!.

فعندما يفر المرء من أخيه وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤيه، فإننا نكون أكثر حاجة من أي وقت آخر إلى مساعدة الباري عز وجل، فإذا كنا ممن قدَّم يد المساعدة إلى المظلوم

---

(١) ثواب الأعمال ص ١٤٦.

من إخواننا فإنه تعالى ينصرنا ويعيننا.. وإلا فلا.

❁ ❁ ❁

والسؤال هنا هو: متى يكون نصر الأصدقاء أوجب؟ وكيف يجب أن يكون ذلك؟

والجواب: عندما يكون متورطاً مع الظلمة ويحتاج إلى من ينصره.

مثلاً عندما يكون مطلوباً من سلطان جور، ويحتاج إلى من يمنعه عنه.. أو يكون سجيناً ويحتاج إلى من يخلصه من سجنه.. أو يكون في حالة المواجهة مع الظالمين، ويحتاج إلى من يعينه مادياً ومعنوياً..

وبكلمة: فكلما كان المرء أكثر عرضة للمخاطر، كلّما كان على أصدقائه أن يقدموا له خدمة أكبر.

فهذا هو معنى «النصرة».

أما كيف يجب أن تكون النصرة، فبكل الإمكانيات المتاحة، فالانتصار الحقيقي هو المغامرة بكل ما يملك المرء لتحقيق النصر لأخوته.



١٧ ـ رعاية عائلته

يحدث غالباً أن يسافر البعض ويترك عائلته من دون رعاية.

وواضح أنه أثناء غياب ربّ العائلة، قد تحتاج هذه إلى من يساعدها. فمن أولى بمثل ذلك من أصدقاء الرجل؟

إنّ مدّ يد المساعدة إلى عائلة الصديق، واحد من أهم شروط الصداقة، ومتطلباتها.



١٨ ـ قضاء الحوائج

قضاء حاجات الأصدقاء من حقوق الأخوّة، وواجبات الإخاء.

يقول علي بن جعفر: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالىٰ ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله.. وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً (اي أفعىٰ) من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً، فإن عَذْرَه الطالب كان أسوأ حالاً»[١].

(١) الكافي ٢/١٩٦/١٣.

ويقول الإمام أبو جعفر عليه السلام: «أوحىٰ الله عز وجل إلى موسىٰ عليه السلام أنّ من عبادي من يتقرَّب إليَّ بالحسنة فاحكّمه في الجنة».

فقال موسىٰ: «يا رب وما تلك الحسنة؟

قال: «يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته قُضيت، أو لم تُقض»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لأن أمشي في حاجة أخ لي، أحب إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة»[2].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«ما قضىٰ مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالىٰ: عليَّ ثوابك ولا أرضىٰ لك بدون الجنة»[3].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«في الشدة يختبر الصديق»[4].

---

(١) الكافي ٢/١٩٥ ـ ١٩٦/١٢.
(٢) الكافي ٢/١٩٧/٤.
(٣) الكافي ٢/١٩٤/٧، جامع السعادات ٢/٢٣١.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٥٣/٣٠.

ويقول عليه السلام:

«في الضيق يتبين حسن مواساة الرفيق»[1].

ويقول المفضل: قال لي الإمام أبي عبد الله عليه السلام:

«يا مفضل اسمع ما أقول لك واعلم أنه الحق وافعله وأخبر به علّية إخوانك».

قلت: «جعلت فداك وما علّية إخواني؟

قال: «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم.

ثم قال: «من قضىٰ لأخيه المؤمن حاجة قضىٰ الله عز وجل له يوم القيامة ألف حاجة، من ذلك الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابتَهُ ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصّاباً».

وكان المفضل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه قال له: أما تشتهي أن تكون من علّية القوم؟.

وحدث الحسين بن يقطين عن أبيه عن جده قال: حكم علينا بالأهواز رجل من كتّاب يحيى بن خالد، وكان عليَّ بقايا خراج كان فيها زوال نعمتي وخروجي عن ملكي فقيل لي: إنه ينتحل هذا الأمر.. فخشيت أن ألقاه مخافة أن لا يكون ما بلغني حقاً، فيكون فيه خروجي عن ملكي وزوال نعمتي فهربت منه إلى الله تعالى وأتيت الإمام الصادق عليه السلام مستجيراً فكتب إليه رقعة صغيرة فيها:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٥٣/٣١.

«بسم الله الرحمن الرحيم إن لله في ظل عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من نفّس عن أخيه كربته، أو أعانه بنفسه.. أو صنع إليه معروفاً ولو بشق تمرة.. وهذا أخوك والسلام».

ثم ختمها ودفعها إليَّ وأمرني أن أوصلها إليه، فلما رجعت إلى بلدي صرت ليلاً إلى منزله فاستأذنت عليه، وقلت: رسول الصادق عليه السلام بالباب، فإذا أنا به قد خرج إليَّ حافياً، ومنذ نظرني سلّم عليَّ وقبَّل ما بين عيني.

ثم قال: يا سيدي، أنت رسول مولاي؟

فقلت: نعم.

فقال: قد اعتقتني من النار إن كنت صادقاً، فأخذ بيدي وأدخلني منزله وأجلسني في مجلسه وقعد بين يدي.

ثم قال:

يا سيدي كيف خلفت مولاي؟

فقلت: بخير.

فقال: «الحمد لله»، حتىٰ أعادها ثلاثاً، ثم ناولتُه الرقعة فقرأها وقبَّلها ووضعها على عينيه، ثم قال: «يا أخي مُر بأمرك».

قلت: «في جريدتك عليّ كذا وكذا ألف درهم، وفيه عطبي وهلاكي.. فدعا بالجريدة فمحىٰ عني كلما كان فيه

وأعطاني براءة منها، ثم دعا بصناديق ماله فناصفني عليها، ثم دعا بدوابّه فجعل يأخذ دابّة ويعطيني دابة، ثم دعا بغلمانه فجعل يعطيني غلاماً ويأخذ غلاماً، ثم دعا بكسوته فجعل يأخذ ثوباً ويعطيني ثوباً، حتى شاطرني في جميع ملكه، وهو يقول: هل سررتك؟.

فأقول: أي والله وزدت عليَّ السرور.

فلما كان موسم الحج قلت: والله ما كان هذا الفرح يقابل بشيء أحب إلى الله ورسوله من الخروج إلى الحج والدعاء له والمصير إلى مولاي وسيدي الصادق عليه السلام وشكره عنده واسأله الدعاء له، فخرجت إلى مكة وجعلت طريقي إلى مولاي فلما دخلت عليه رأيت السرور في وجهه فقال عليه السلام:

ـ «ما كان خبرك مع الرجل؟

فجعلت أورد عليه خبري، وجعل يتهلل وجهه ويسر السرور.

فقلت: يا سيدي هل سررت بما كان منه إليَّ؟

فقال عليه السلام: «أي والله لقد سرَّني، ولقد سرَّ آبائي، والله لقد سرَّ أمير المؤمنين عليه السلام والله لقد سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واللَّهِ لقد سرَّ الله في عرشه[1].

---

(١) عدة الداعي ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

يقول الإمام الحسين بن علي عليه السلام:

«إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النِّعم فتجوزوا النعم»[1].

لأن قضاء كل حاجة له أجر عظيم عند الله، فمن يسدي إلى أخيه معروفاً، أو ينفّس عنه كربة، أو يدخل على قلبه سروراً، يحظى بظل عرش الله يوم القيامة، يوم يخرج الناس إلى ربهم عراة حفاة غُرلاً.. **﴿وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد﴾**[2].

ثم أيهما الأفضل: أن يحتاج إليك الناس، أو تحتاج إليهم؟، وإذا كان الأول صحيحاً فلماذا ترفض قضاء حوائج المؤمنين والأصدقاء، وأنت قادر عليها؟

إن عليك أن تكون مبادراً في الاستجابة لطلبات الناس. فإذا جاءك صديقك طالباً حاجة منك فلا تهرب من قضائها، ولا تقل: ما دخلي في هذا الأمر، أو «ما لنا والدخول بين السلاطين»، فإن هذا المبدأ هو الذي قتل أنبياء الله كثيرين، وأولياء له صالحين..

إن من واجبك الديني أن تتدخل بين الناس وبين

---

(١) الدرة الباهرة ص ٢٤.

(٢) سورة الحج، آية: ٢.

السلاطين، فتمنع السلاطين من الظلم، وتساعد الناس على تحقيق العدل.. ثم هل تعتقد بأنك تبقى دائماً شخصاً يحتاجك الناس؟ أم أن دولاب الدنيا دوّار؟.

إنّك أحياناً تسدي إلى شخص ما خدمة، فإذا بك تحتاج إلى ذلك الشخص نفسه، فلماذا تفرّط في حق نفسك، وفي قضاء حوائجك في المستقبل؟

إنه قد يأتيك مظلوم فتنصره، فإذا بك تحتاج إلى نصرته بعد مدة من الزمن.

إن الله يطالبنا بنصرة إخواننا بالمال والسيف، إذا دعىٰ ذلك، وليس يطالبنا فقط قضاء حوائجهم المادية.

والمطلوب من المؤمن، أن يكون هو صاحب الفضل على الإخوان بالمبادرة إلى الإحسان إليهم.

ويذكر التاريخ في هذا المجال: عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ: إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال، عليه أثواب رثة، والفقر ظاهر منه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلّم على النبي ﷺ ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتُك والعذراءُ تبكي برنّة وقد ذهلت أمُ الصبي عن الطفلِ
وأختٌ وبنتان وأمٌ كبيرة وقد كدت من فقري أخالطَ في عقلي
وقد مسّني فقرٌ وذلٌ وفاقةٌ وليس لنا شيء يمر ولا يحلي

ولسنا نرى إلاّ إليك فرارنا   وأين مفرّ الخلق إلاّ إلى الرسل؟[1]

فلما سمع النبي ﷺ ذلك، قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً والجزاء من الله غرف في الجنة، تضاهي غرف إبراهيم الخليل عليه السلام فمن منكم يواسي هذا الفقير؟

فلم يجب أحد، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب عليه السلام يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابي بيده، فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته، فأخذه الأعرابي وانصرف..

ثم أن النبي ﷺ أتاه جبرائيل وناداه: السلام عليك يا رسول الله!، ربك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ **﴿إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا، فإن حزب الله هم الغالبون﴾**[2].

فقال رسول الله ﷺ: وجبت الغرف لابن عمي علي بن أبي طالب»!.

وهكذا سجّل القرآن هذه المبادرة الكريمة، وأوجب ولاية الإمام، بينما أهمل عمل أناس آخرين، قاموا بالتصدق

---

(١) الفضائل ص ١٤٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٥ ـ ٥٦.

بكمية من الخواتم فيما بعد.. لأنهم لم يبادروا إلى ذلك.

إن الصداقة بحاجة إلى المبادرة في العطاء، والمبادرة في الالتزام بقواعدها، وأصولها.

ولننظر كيف كان الأجداد في هذا المجال؟.

يقول أحمد بن محمد بن عبد الله البرقي صاحب الكتاب المحاسن:

«كنت نزيلاً بالريّ على أبي الحسن الماذرائي كاتب «كوتكين» وكانت لي عليه وظيفة في كل سنة عشرة آلاف درهم أخرجها عن خراج ضيعتي بقاشان فلحقتني المطالبة بالمال وشغل عني ببعض أسبابه، فبينما أنا ذات يوم على قلقي وارتماضي إذ دخل عليَّ شيخ مستور، وقد نزف دمه وهو ميت في صورة الاحياء فقال: يا أبا عبد الله تجمع بيني وبينك عصمة الدين وموالاة الأئمة الطاهرين عليهم السلام فانهضني في هذا الأمر لله ولساداتنا.

فقلت له: وما ذاك؟

فقال: إنه قد ألقىٰ في حقي أني كاتبت السلطان سراً بأمر كوتكين فاستحل بذلك مالي ودمي».

فنويت له بقضاء الحاجة وانصرف.. وفكرت بعد انصرافه وقلت لنفسي: إن طلبتُ حاجتي وحاجتَه لم تقضيا معاً، وإن طلبت حاجته لم يقض حاجتي. ولم يطب بردّه

نفسي.. فقمت من وقتي وساعتي إلى خزانة كتبي فوجدت حديثاً قد رويته عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو:

«من أخلص نيته في قضاء حاجة أخيه المؤمن، جعل الله نجاحها على يديه، وقضىٰ له كل حاجة في نفسه».

فقمت من وقتي وساعتي وركبت بغلتي وجئت إلى باب أبي الحسن الماذرائي فمنعني بعض الحجّاب وأنعم بعض ثم اتفقوا على إدخالي في «روشن»[1] له متكئاً على «داربزين»[2] فجاء وفي يده قضيبٌ فسلمت عليه ثم أومىٰ بالجلوس فجلست، فألقىٰ الله على لساني آية قرأتها برفع الصوت وهي **﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض أن الله لا يحب المفسدين﴾**[3].

فقال لي: كرماً يا أبا عبد الله.. تفضل الله علينا بأموال فجعلها ثمناً لدار الآخرة، فقال تعالى: **﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** إشارة إلى الرياش والمعاش **﴿واحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** هذه تقدمة وتشير بحاجة فاذكرها منبسطاً مسترسلاً».

---

(١) الروشن: الرف.

(٢) داربزين: قوائم خشب أو حديد.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

فقلت له: فلان (وذكرت الشيخ المذكور) ألقىٰ في حقه كيت وكيت.

فقال لي: تعرفه؟

قلت: أجل.

قال: بالولاء والبراءة؟

قلت: أجلْ

فألقىٰ القضيب من يده ونزل على كرسيه ثم أومأ إلى غلام له فقال: يا غلام آت بالجريدة، فأتىٰ بالجريدة، وفيها أموال الرجل وهو ما لا يحصىٰ فأمر بردّه، ثم أمر بخلعة وصرفه إلى أهله مكرماً، ثم قال: يا أبا عبد الله لقد بالغت في النصيحة وتلافيت أمري بسببه، ثم قطع من جانبه رقعة من غير سؤال وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم يطلق لأحمد بن محمد بن خالد البرقي عشرة آلاف درهم، وذلك لإهدائه الصنيعة والعارفة إلينا».

فملت على يده لأقبّلها، فقال: يا أبا عبد الله، والله لئن قبلت يدي لأقبّلن رجلك، هذا قليل في حقه، هذا متمسّك بحبل آل محمد عليهم السلام[1].

يقول السيدي: كان النجاشيُّ وهو رجلٌ من الدَّهاقين

---

(١) المحاسن ٣٣ ـ ٣٥.

عاملاً على الأهواز وفارس، فقال بعض أهل عمله لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ في ديوان النجاشي عليَّ خراجاً، وهو ممَّن يدين بطاعتك فإن رأيت أن تكتب إليه كتاباً.

فكتب إليه الإمام الصادق عليه السلام: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم سُرَّ أخاك سرَّك الله».

فلمَّا ورد عليه الكتاب دخل عليه وهو في مجلسه فلمَّا خلا (أي من المراجعين) ناوله الكتاب، وقال: هذا كتاب أبي عبد الله عليه السلام، فلما سمع اسم الإمام، قام من مكانه وناول الكتاب، وقبّله ووضعه على عينيه، وقال له: ما حاجتك؟

فقال: خراجٌ عليَّ في ديوانك.

فقال: كم هو؟

فقال: عشرة آلاف درهم.

فدعا كاتبه فأمره بأدائها عنه، ثمَّ أخرج منها خراجاً فأمره أن يثبتها له لقابل.

ثمَّ قال له: هل سررتك؟

فقال له: نعم، فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى.

فقال له: هل سررتك؟

فقال: نعم جعلت فداك.

ثمَّ أمر له بمركب وجارية وغلام، ثمَّ أمر له بتخت

ثياب، وفي كلّ ذلك يقول له: هل سررتك؟ فكلّما قال له: نعم، زاده حتَّى فرغ.

ثمَّ قال له: احمل فرش هذا البيت الّذي كنت جالساً فيه حين دفعت إليَّ كتاب مولاي الّذي ناولتني فيه، وارفع إليَّ جميع حوائجك، ففعل.

وخرج الرَّجل بعد ذلك بمدة فصار إلى أبي عبد الله عليه السلام فحدَّثه بالحديث على جهته وجعل يسرُّه بما فعل، فقال له الرَّجل: يا ابن رسول الله كأنَّه قد سرَّك بما فعل بي؟.

فقال الإمام عليه السلام: «إي والله، لقد سرَّ الله ورسوله»[1].

وهكذا فإن من صفات المؤمنين السعي لقضاء حوائج الآخرين، وعدم الامتناع عن تقديم العون لهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من سعىٰ في حاجة أخيه المسلم فاجتهد فيها فأجرىٰ الله على يديه قضاءها، كتب الله عز وجل له حجة وعمرة واعتكافاً في المسجد الحرام وصيامهما، وإن اجتهد ولم يجر الله قضاءها على يديه كتب الله عز وجل له حجة وعمرة»[2].

ثم إنه بمقدار ما يكون السعي لقضاء حاجة الإخوان

---

(١) البحار ج ٤٧ ص ٣٧٠.

(٢) الكافي ٢/١٩٨/٧.

واجباً فإن الامتناع عن ذلك حرام، وعليه العقاب.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«من بخل بمعونه أخيه المسلم والقيام له في حاجته، ابتُلِيَّ بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر»[1].

ويقول إسماعيل بن عمار الصيرفي:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، هل المؤمن رحمة على المؤمن؟

قال: نعم.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: «أيما مؤمن أتىٰ أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسبّبها له، فإن قضىٰ حاجته كان قد قبل الرَّحمة بقبولها، وإن ردَّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما ردَّ عن نفسه رحمة من الله تعالىٰ ساقها إليه وسبّبها له، وذخر الله تعالىٰ تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتىٰ يكون إلى المردود عن حاجته وهو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره، يا إسماعيل إذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له فإلى من ترىٰ يصرفها؟

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٧٩.

قلت: لا أظن يصرفها عن نفسه.

قال عليه السلام -: لا تظن، ولكن استيقن فإنه لن يردها عن نفسه، يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً»[1].

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الاعتذار عن مدّ يد المساعدة للمحتاجين أمر غير مقبول، خاصة الاعتذار بالانشغال. فأي عمل أهم من هذا العمل حتى ينشغل به المرء عن مساعدة المحتاجين؟

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام ذات مرة واقفاً يصلي. وكان إلى جانبه رجل طاعن في السن وبيده عصاه، فأراد أن يقوم من مكانه فانفلتت العصا من يده، ولم يستطع أخذها.. فانحنى الإمام وأخذ العصا وأعطاها للرجل ثم وقف وأكمل صلاته!.

فإذا لم تكن الصلاة عائقة بين الإمام وبين قضاء حاجة الناس، فلماذا يعتذر البعض، حينما يأتيه إخوانه في الحاجة، بأنه مشغول؟

أترى هل هو مشغول بأحسن من الصلاة، وهي التي لم تمنع الإمام الصادق عليه السلام من قضاء حاجة الآخرين فيها؟

---

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٠.

لقد قيل لأحد الصالحين: إذا قيل لك إنه لم يبق من حياتك إلا ساعة من النهار، فماذا عساك أن تفعل في آخر فرصتك هذه من الحياة؟

فقال: اخرج من بيتي، واقف عند باب الدار، وكلما مرّ شخص أسأله: هل لك حاجة فأقضيها لك، فهذه من أفضل الأعمال والقربات.

❀ ❀ ❀

١٩ ـ الشفاعة في مسائله

قد يحتاج الصديق إلى من يشفع له، ويتوسط في مختلف المسائل التي هي بحاجة إلى الوسيط والشفيع. ومن حقه على إخوانه أن يبادروا لتلك الوساطة وعدم الامتناع عن ذلك مهما كانت الظروف.



٢٠ ـ تسميت العطسة

ليست الحقوق الكبرى وحدها واجبة الأداء بين الإخوان، وإنما الأمور الصغيرة التي فيها الاحترام أيضاً.

فإذا ضمّك مجلس مع الأصدقاء، وعطس أحدهم فيه، فإن من حقه عليك أن تبدي تعاطفك معه وأن تسمت عطسته وتقول له «يرحمك الله».

قال ابن زياد وابن رئاب:

«كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ عطس رجل فما رد عليه أحد من القوم شيئاً حتى ابتدأ هو فقال: سبحان الله إلا سمتّم! إن من حق المسلم على المسلم أن يعوده إذا اشتكا، وإن يجيبه إذا دعاه، وأن يشهده إذا مات، وأن يسمته إذا عطس»[١].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا عطس الرجل فسمّتوه ولو من وراء جزيرة»[٢].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا عطس الرجل فسمّته ثلاثاً ثم اتركه»[٣].

٢١ ـ إرشاد ضالته

قد يحتاج الصديق إلى من يدلّه على الطريق ويرشده السبيل، وهذا حق من حقوقه على الإخوان والأصدقاء ولو افترضنا أن طفلاً لصديقك، أو مالاً أو أي شيء آخر ضاع منه فإن من واجبك مساعدته في البحث عنه.



(١) الكافي ٢/٦٥٣/٣.

(٢) المحجة البيضاء ٣/٣٩٦.

(٣) المحجة البيضاء ٣/٣٩٧.

٢٢ ـ رد التحية بمثلها

بمقدار ما أن إلقاء التحية بالسلام مستحب، فإن ردّه واجب.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ: «وإذا حييّتم بتحيّة فحيوا بأحسن منها أوردوها»[١].

يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«إن الله عز وجل قال: البخيل من بخل بالسلام»[٢].

وقد ورد عن رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«أولى الناس بالله ورسوله من بدأ بالسلام..»[٣].

ويقول الإمام الباقرعليه السلام:

«كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يسلّم على النساء ويردن عليه السلام»[٤].

ويقول رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«خمسة لستُ بتاركهن حتىٰ الممات: لباس الصوف، وركوبي الحمار، مؤكفاً، وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.
(٢) الكافي ٢/ ٦٤٥/ ٦.
(٣) الكافي ٢/ ٦٤٤/ ٥.
(٤) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٥.

بيدي، وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي»[١].

لقد أراد رسول الله ﷺ، أن يكون سلامه على الصبيان سنة من بعده.. فماذا يكون الرد على من يسلم علينا من إخوتنا المؤمنين؟ وما الحسنات التي يحصل عليها من يبدأ بالسلام أو من يرد على من يسلم عليه؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من قال: «السلام عليكم» فهي عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله» فهي عشرون حسنة، ومن قال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فهي ثلاثون حسنة[٢].

ثم أنه يكره أن يقول الداخل ابتداءاً عليك السلام قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال ﷺ:

«إن «عليك السلام» تحية الميت».. قاله ثلاثاً ثم قال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليقل: سلام عليكم ورحمة الله[٣].

ويقول رسول الله ﷺ:

«السلام تطوع، والرد فريضة»[٤].

---

(١) الخصال ١٧١ ـ ١٧٢/ح ١٣.

(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٥.

(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٣.

(٤) حلية المتقين ص ٥٤٠.

وجاء في الحديث عنه:

«إذا سلم المسلم على المسلم فردَّ عليه، صلت عليه الملائكة سبعين مرة»[1].

❁ ❁ ❁

٢٣ ـ التحسين لمقاله

فلو تكلم الصديق، فإن من حقه على المستمعين أن يقولوا له مثلاً: «طيب الله أنفاسكم» أو يقولوا له: «أحسنت». . ومن ثم يشجعونه على ما قال، لأن التشجيع على كلمة الخير، خير عند الله تعالى.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «من قال لأخيه المؤمن مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة»[2].

❁ ❁ ❁

٢٤ ـ مولاة أصدقائه

فإذا كان لصديقك أصدقاء فمن حقه عليك، أن تكون صديقاً لهم، لأن «أصدقاءك ثلاثة ـ كما يقول الإمام عليعليه السلام ـ وأَعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صَديقُكَ، وصديق صديقك،

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٢.

(٢) الكافي ٢/٢٠٦/٢.

وعـدُوّ عـدوِّك. . وأعـداؤك عـدُوّك وعـدوُّ صـديقـك، وصَـدِيـقُ عدوِّكَ[1].

إن أصدقاء صديقك هم في جبهة واحدة معك، كما أن أصدقاء عدوك في جبهة واحدة ضدك، فلا بد من أن تتخذ من في جبهتك صديقاً، كما تتخذ من في جبهة عدوك، عدواً.

يقول أحد الشعراء:

عدوُّ صديقي داخل في عداوتي وإني ـ لمنْ ودَّ الصديقَ صديقُ[2]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تَتَّخِذْ عَدُوَّ صَدِيقكَ صَدِيْقاً فَتُعادِيْ صَدِيْقَكَ»[3].



٢٥ ـ الامتناع عن معاداته

فمن حقوق الأصدقاء، أن لا يعادي بعضهم بعضاً، فحينما تتخذ صديقاً في ذات الله فلا تقف في الجبهة المضادة له.

يقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة ٤/ ٧١، الصداقة والصديق ص ١٦٩.

(٢) الصداقة والصديق ص ١٥٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٣١/ ١٩٠.

«إذا قال المؤمن لأخيه المؤمن: «أفّ» خرج من ولايته وإذا قال: «أنت عدوي» كفر أحدهما؛ ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو يضمر على المؤمن سوءاً»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تتخذن عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك. ولا تعمل بالخديعة فإنها خلق اللئيم»[2].

❀ ❀ ❀

٢٦ ـ نصرته ظالماً ومظلوماً

يقول الحديث الشريف: «إنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً، فيعينه على أخذ حقه[3].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه للإمام علي عليه السلام:

«سر ستة أميال أنصر المظلوم من الظالم»[4].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أُقعد رجل من الأخيار في قبره فقيل له: انّا جالدوك

---

(١) المحاسن للبرقي ١/ ١٨٣/ ٢٩٧.
(٢) تحف العقول ص ٦٠.
(٣) دار السلام ٣/ ٤٥١.
(٤) دار السلام ٣/ ٤٥١.

مائة جلدة من عذاب الله؛ فقال: لا أطيقها، فلم يزالوا به حتىٰ انتهوا إلى جلدة واحدة، فقالوا: ليس فيها بدّ قال: فيمَ تجلدونيها؟ قالوا: نجلدك لأنك مررت على ضعيف يوماً فلم تنصره، قال: فجلدوه جلدة من عذاب الله عز وجل فامتلأ قبره ناراً[1].

ويقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

«خير إخوانك من يصدقك النصيحة، ويزينك في المحافل، وينصرك على عدوك»[2].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم بسبع: أمرهم بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإبرار القسم، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وإفشاء السلام...»[3].

ويقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«وأما حق أخيك فإن تعلم أنه يدك وعزتك وقوتك، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه...»[4].

---

(١) دار السلام ٣/ ٤٥١.
(٢) دار السلام ٣/ ٤٥٢.
(٣) قرب الإسناد ص ٣٤.
(٤) الخصال ٥٦٣/ ١.

ويقول رسول الله ﷺ:

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

فقيل: كيف ينصره ظالماً؟

قال: «يمنعه من الظلم»(١).



٢٧ ـ الامتناع عن تسليمه للعدو

فمن حقوق الصديق أن لا يتركه صديقه فريسة عند العدو، ولا يتجاهله عند الخطر.

يقول رسول الله ﷺ:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»(٢).

لقد حدث في التاريخ أن بعض الناس، سلموا صديقهم وندموا على ذلك فيما بعد، ولات ساعة مندم.

فحينما كتب الإمام الحسين عليه السلام رسالة مع رسول له إلى بعض مواليه في البصرة يطلب منهم نصرته، أخذ أولئك رسولَ الإمام وسلموه إلى السلطات، وهي أعدمت الرجل وكان موقفهم منه بسبب تخوفهم من أن يكون مدسوساً عليهم، ثم تبين فيما بعد أنه كان يحمل رسالة من الإمام.. وربما لو أنهم

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٩.

(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٣٢.

لم يفعلوا ذلك لتغيرت المعركة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين جيش يزيد بن معاوية.

❀ ❀ ❀

٢٨ ـ الامتناع عن خذلانه

فلا يجوز عند المواجهة خذلان الأخوة.. فإذا دخلت برفقة صديقك في مواجهة مع العدو فإن من واجبك أن تسند ظهره، كما أن من واجبه هو أن يسند ظهرك.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه»[2].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«شر الإخوان، الخاذل»[3].



---

(١) المحاسن ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣/ ٢٩٦، أمالي الصدوق ٣٩٣/ح ١٦.

(٢) حلية المتقين ص ٤٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٤٠٤/ ٣٧.

٢٩ ـ أن تحب له الخير كما تحبه لنفسك

يقول الإمام علي عليه السلام:

«كفاك تأديباً لنفسك ما كرهته لغيرك»[١].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«وأيُّ كلمة حكم جامعة: أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لها»[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة له من الله عز وجل، والله سائله عما صنع فيها:

«الإجلال له في عينه، والود له في صدره، والمواساة في ماله، وأن يحبَّ له ما يحبُّ لنفسه، وأن يُحرمَ غيبته، وأن يعوده في مرضه، ويشيع جنازته، ولا يقول فيه بعد موته إلا خيراً»[٣].

وقد ورد في الخبر عن محمد بن سلم أنه قال:

«أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبد الله عليه السلام، فقال له عند الوداع: أوصني.

---

(١) تحف العقول ص ٦٦.

(٢) تحف العقول ص ٦٠.

(٣) الخصال ٣٥١/ح ٢٧.

فقال عليه السلام: «أوصيك بتقوىٰ الله وبر أخيك المسلم، وأحبّ له ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك. . . .»[1].

❁ ❁ ❁

٣٠ ـ أن تكره له الشر كما تكرهه لنفسك

فمن حقوق الصداقة أن يحسب للصديق في الإيجابيات وفي السلبيات معاً حساب نفسه، ويجعل من نفسه ميزاناً بينه وبين إخوانه.

يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

«أي بني تفهّم وصيتي واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحبُّ أن يُحسن إليك، وإستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس لك ما ترضىٰ به لهم منك، ولا تقل بما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك»[2].

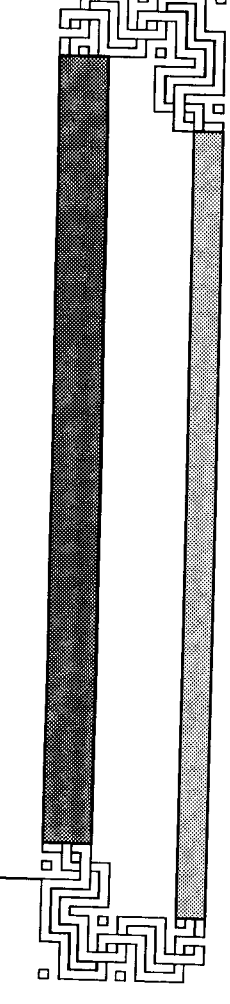
وفي خبر المعلىٰ بن خنيس قال: قلت لأبي عبد

(١) أمالي الطوسي ص ٩٤.
(٢) تحف العقول ص ٥٦.

الله ﷺ: ما حق المؤمن على المؤمن؟

فقال ﷺ ـ: «أيسرها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. . . .»[1].

(١) الخصال ٣٥٠/ح ٢٦.



الأجواء الضرورية للعلاقة الحميمة مع الأصدقاء

جرّب أن تأخذ أصِيصاً لبذرة زراعية بدأت لتوّها تتفتّق من الأرض، ضع على هذا الأصيص قمعاً قاتم اللون، يمنع عنه الضوء والهواء... ثم انظر ما الذي يحدث؟.

إن القمع الذي لن يلمس نعومة البذرة، سيقتلها! مع أن كل ما قام به القمع ليس إلاَّ مجرد تغيير للجوّ المحيط بالبذرة، فالضوء الذي كانت البذرة تأخذ منه غذاءها ـ عبر عملية التمثيل الضوئي ـ تمَّ إيقافه عنها. وثاني أُوكسيد الكربون الذي كانت تمتصّه عادة من الهواء، منع عنها، وهكذا أفسد الجوّ المحيط بالبذرة فماتت!.

والصداقة أيضاً كالبذرة.. تنمو في أجواء خاصة، وتموت حينما تفسد عليها تلك الأجواء.

فما هي أجواء الصداقة. وما الذي يفسدها؟.

والجواب:

إن «الثقة المتبادلة» بين الأخوة هي الأجواء الطبيعية لنموّ

الصداقة بينهم، وبمجرّد أن يدخل «سوء الظنّ» بين أي صديقين فإن الصداقة تنقلب إلى عداء، وتتحوّل العلاقة التي كانت مصدر إسعاد لكليهما، إلى نكد يقض مضجعهما، ويلاحقهما كالوحش في كل اللحظات.

وسوء الظنّ كالمرض ينتشر بسرعة، فكما يكفي لنموّ الميكروبات في الجسم أن يوجد جوّ غير صحيّ، كذلك يكفي لإشاعة الفساد والفرقة والتمزّق بين الأصدقاء وجود سوء الظنّ..

ولو قدّر لك أن تعيش فترة من الزمن، في مجتمع مصاب بـ «سوء الظنّ»، فلن ترى فيه إلاّ الفساد والفرقة والتطاحن..

ومن هنا فإن مسؤوليتنا في المجتمعات الإيمانية هو القيام بتنقية الأجواء دائماً وتعقيم الصداقات فيها بحسن الظنّ والثقة. إنّ علينا أن نقوم بتنقية المجتمع تماماً كما يحدث في المستشفيات، فالأطبّاء لا يقومون بحقن جسم المريض بالدواء فحسب، وإنّما يهيؤون له الأجواء الصحيّة المناسبة، ويبعدونه عن الأجواء الملوثة التي تنتشر فيها الجراثيم والميكروبات أيضاً.

ثم إن الناس ينقسمون بالنسبة للظنّ الحسن، أو السيّىء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول ـ الذين يحسنون الظنّ مطلقاً، ويثقون بكل الناس، وفي جميع الحالات، وحينما يصادقون أحداً ينفتحون عليه بكل ما في قلوبهم من دون أن يحسبوا أي حساب لتقلّبات الظروف وتبدل الأجواء.

القسم الثاني ـ على العكس تماماً من القسم الأول، فهؤلاء لا يثقون بأحد أبداً، ومن المستحيل عندهم أن توجد شخصية محببة واحدة في العالم، فالكل عندهم سيّء لا خير فيه.

.. فالبقّال عندهم غشّاش، والعطّار كذّاب، والعالم دجّال، والقاضي مرتشي، ولا أحد عندهم يرتفع إلى أبسط درجات الصدق، كأنّهم وضعوا على أعينهم نظّارات سوداء، فبدا لهم كل شيء أسوداً، وكل جزء حولهم يشعّ بالعتامة.. وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «قد أعدّوا لكل حق باطلاً ولكل مستقيم مائلاً».

القسم الثالث ـ وهم الوسط بين القسمين السالفين، الذين يعيشون حالة التوازن في الثقة بالناس. فلا ثقة مطلقة عندهم فيمن يصادقونه، ولا إساءة ظنّ مطلقة بمن يتعرّفون عليه.

والإنسان في هذه الحياة، يبدأ علاقاته بالناس عادة وهو من القسم الأول، فيحسن الظنّ بالجميع من دون حدود، فيواجه صدمات تزعزع هذه الثقة، كأن يعطي سرّه لبعض الأفراد

فيفشونه، فيرى فيهم الخيانة المغطّاة بالتظاهر بالصداقة.

وهنا يزيح النظارة البيضاء من على عينه، ويستبدلها بنظارة سوداء..

وهذا هو الخطأ بعينه!

لقد أخطأ هذا الإنسان منذ البدء، عندما وضع نظارة بيضاء، فكان يرى الأسود أبيضاً، والصالح صالحاً، والأعوج مستقيماً.. ولا شيء إلا الجانب الناصع في حياة البشرية.

وأخطأ مرّة أخرى عندما أخذ يرى كل الأشياء سوداء تنفخ بالشرّ.

والصحيح في العلاقة مع الناس، أن لا نثق بكل إنسان كل الثقة؛ وإنّما نخضع في كل من نصادقه لحدود لمقاييس الأخوّة.

أن نعرف أن الناس فيهم الصالح وفيهم الشرير، وفيهم المؤمن وفيهم المنافق، وأن الطيب قد يتغير، كما أن الخبيث كذلك قد يتغير. ولا أحد يستمرّ أبد الدهر كيوم مولده.

يقول الحديث الشريف:

«أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[1].

(١) تحف العقول ص ٢٠١.

إذن فلتكن ثقتك بحدود، وإلاّ فإنّك إذا وثقت بالناس بشكل مطلق فسوف تصطدم بواقع سيّىء، فتسيء الظنّ بالناس بشكل مطلق أيضاً.

ثم إن هنالك قسماً من الناس يسيؤن الظنّ ولكنّهم لا يرتبون على سوء ظنّهم أثراً، وهذا أمر جيّد فإذا رأيت صديقاً لك، في مكان غير مناسب، أو سمعت منه كلاماً لم تكن تتوقّعه فإن من حقّك أن تسيء الظنّ في صديقك، ولكن لا ترتّب على ظنّك موقفاً مضاداً له، وحافظ على ثقتك به حتى تتيقّن ما ظننت. وحذار أن يكون سوء الظنّ سبباً للقطيعة بينك وبينه على كل حال.

إن اختيار الصديق ينبغي أن يكون دائماً عن خبرة وتجربة، فإذا كانت ثقتك في صديقك نابعة من خبرة وتجربة، فمن السخف بمكان أن يسبب سوء الظنّ النابع من موقف أو كلمة، سبباً لزعزعة هذه الثقة.

وإذا تبيّن لك أنه صديق جيّد وكانت صداقتك معه مبنية على أساس متين، فلا تسمع فيه أقاويل الرجال، ولا تصغي فيه إلى وشاية النفس.

وعلى العموم عليك أن تلتزم بهذه المعادلة:

«أن لا تعطي لأحد كل ثقتك»، لأنّه لا ثقة مطلقة، إلاّ بالله، ورسله وأوصيائهم لأنّك في غير هذه الصورة قد تصاب

بخيبة أمل، وذلك لأنّ الناس ليسوا ملائكة، وإنّما هم بشر، وما داموا بشراً فإنّهم يصيبون ويخطؤن.

وطالما كان الناس بشراً، فهم بين حمأ مسنون، ونفخة من روح الله، وما بين الحمأ المسنون ونفخة من روح الله، صراع دائم، فقد يميل الإنسان إلى الحمأ المسنون، وقد يميل إلى الروح من الله.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«الناس إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل»[1].

ويقول تعالى:

﴿يا أيّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعض الظنّ إثم﴾[2]..

إن مجرد التفكير في ارتكاب الذنب لا يعتبر عادةً ذنباً، إلا فيما يرتبط بالعلاقة مع الناس، فإن مجرّد سوء الظنّ بهم يعتبر عند الله تعالى إثماً وعليه العقاب..

لأنّ إساءة الظنّ بالناس، قد يقود إلى زعزعة الاستقرار في العلاقات الاجتماعية بين الناس، وذلك مما يغضب الله ورسوله.

(١) تحف العقول ص ١٢٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

إن المطلوب دائماً هو إقامة شبكة من العلاقات المبنية على حسن اختيار الصديق، بناء على علمه أو عقله أو حكمته، أو كرمه، أو فضائل أخلاقه، حتى تكون علاقات دائمة لأن العلاقات المحدودة بزمن أو مكان ليست صداقة حقيقية.

ولأنّه لا بدّ لهذه العلاقة الإنسانية أن تبقى مقدّسة، فلا يجوز أن تخدش بكلمة؛ أو تتقطع بسبب موقف خاطىء.

إن الصداقة الحقّة تعني الثقة الحقّة، من الجذور.

ومن هنا فإن القرآن الكريم يؤكّد أن ظنّ السوء، ينتهي إلى التمزّق والإخفاق والضياع، يقول تعالى:

﴿وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً﴾[1]..

أي حينما يكون سوء الظنّ موجوداً، فسوف يُصاب القوم بالإخفاق والتمزّق.

وعلى أساس ذلك فلا بدّ أن نحمل عمل الصديق على محمل الخير، مهما صدر منه من أعمال قد تبدو في أعيننا، غير لائقة، فقد جاء الحديث الشريف:

«إحمل فعل أخيك المؤمن على سبعين محمل»[2]...

كما لابدّ أن لا نصدّق في الأخ المؤمن كلام الواشين،

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٤١/٢٢٤.

ودعايات المغرضين، وسموم المنافقين.

يقول الحديث الشريف:

«ضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك ما يغلبك منه»[1].

فما دام هناك مجال لتفسير أعماله، ففسّرها تفسيراً حسناً، إلاّ إذا رأيت شيئاً، لا يمكنك أن تغالط نفسك فيه...

ويقول حديث آخر.

«ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا بلغكَ عن أخيك شيء فقال: لم أقله، فاقبل منه ذلك توبة له»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«إذا بلغك عن أخيك شيء وشهد أربعون أنهم سمعوه منه، فقال: «لم أقل» فاقبل منه»[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٢/ ١٠، الكافي ٢/ ٣٦٢/ ٣.
(٢) دار السلام ٣/ ٤٢٨.
(٣) مصادقة الإخوان ٨٢/ ٨.
(٤) مصادقة الإخوان ٨٢/ ٩.

ويقول في حديث آخر:

ـ «ما بالكم يعادي بعضكم بعضاً إذا بلغ أحدكم عن أخيه شيء لا يعجبه فليقله أو يسأله فإن قال: لم أفعل: صدقه وإن قال: قد فعلت، استتابه»[1].

إن علينا أن نقيّم تصرّفات الأصدقاء والإخوان، من منطلق حسن الظنّ والثقة المتبادلة. وليس من سوء الظنّ.

أمّا إذا جعلنا سوء الظنّ هو المقياس العام، لتفسير مواقف وأعمال الأصدقاء، فكل كلمة نسمعها سوف تفسّر تفسيراً سيّئاً، وستنتهي علاقتنا مع الآخرين إلى التباغض والعداء.

إننا لسنا علماء بالغيب، ولذلك لا يجوز لنا أن نفسّر كل عمل نراه تفسيراً سيّئاً..

وإليك الدليل.

حدث أن دخل جماعة إلى خربة، فرأوا رجلاً واقفاً على جثة رجلٍ مقتول للتّو. بِيَدِ الواقف سكِّينة ملطخة بالدم، فأخذوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام واتهموه بالقتل.

ولكن تبين أنه كان بريئاً، فقد كان القاتل غيره، ولكنه كان قصاباً وقد ذبح بقرة بحانوته، وبينما هو يقوم بسلخها إذ

(1) مصادقة الإخوان ٨٢/٧.

أخذه البول فدخل الخربة لقضاء حاجته وعندما أراد الخروج وجد جثة القتيل يتشحط بدمه فوقف ينظر إليه والسكين في يده عندما أخذه الناس بالجرم المشهود وقد شهدوا عند أمير المؤمنين عليه وكانوا يقولون: هذا قتل هذا، وماله قاتل سواه، وقد تبين فيما بعد أنه لم يكن قاتلاً، وذلك عندما اعترف غيره بجريمته[1].

وروي أن النبيﷺ كان يكلم عمته صفية، فمر به رجل من الأنصار فدعاه رسول الله، وقال: «يا فلان هذه عمّتي صفية» فقال الرجل: يا رسول الله أفنظن بك إلا خيراً.؟ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه، فخشيت أن يدخل عليك»[2].

وهناك قصص كثيرة أخرى تدل على أن سوء الظن لا يكشف عن الحقيقة.

فما دام أنّنا نرى في حياتنا، بعض الحوادث التي نصدر عليها أحكاماً خاطئة ثم يتبيّن أن لا علاقة بين هذه الحوادث إلاّ في تزامن وقوعها، فلا يجوز منّا حينما نسمع كلمة، أو نرى فعلاً من زميل، أو صديق، أن نحمله محملاً سيئاً.

وهنا لا بدّ أن نعرف أن الشيطان هو الذي يلقي بذرة

---

(١) أخلاقيات أمير المؤمنين ص ٤٨٧.

(٢) جامع السعادات ١/ ٢٨٣.

سوء الظنّ في قلب الإنسان، وإلاّ أنت لا تعلم الغيب والظنّ السيّء حرام.

ولقد حذّرنا القرآن الكريم، من مغبّة الأخذ بكلام الفاسقين، لكي لا نقع في شبكة سوء الظنّ، وهي إحدى شبكات الشيطان، وهو أفسق الفاسقين.

يقول تعالى:

﴿يا أيّها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا، أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«لا يفسدك الظنّ على صديق، أصلحه اليقين»[2]..

فما دامت علاقتك مع صديقك قائمة على أساس الثقة واليقين، فلا تدع الظنّ يفسدها عليك..

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«المؤمن أخ المؤمن، لا يشتمه، ولا يحرمه، ولا يسيء الظن به»[3].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.
(٢) اعلام الدين ص ١٧٨.
(٣) تحف العقول ص ٢١٦.

«من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرجال، أما أنه قد يرمي الرامي وتخطىء السهام، ويحيل الكلام»[1]...

ويقول أيضاً:

«من أطاع الواشي ضيّع الصديق»[2]..

فلكي ترفل علاقتنا مع الناس في أجواء سليمة فلابدّ أن نؤمّن لها حسن الظنّ، والثقة المتبادلة، ولا نسمعن فيهم واشياً، ولا نصغي عليهم لفاسق.

فالأصل بين الأصدقاء هو الثقة، ببعضهم البعض، إلاّ إذا ظهر لهم خلاف ذلك.

أي أن القاعدة يجب أن تكون قاعدة حسن الظنّ، وإشاعة الثقة فإذا ظنّ الناس بك ظنّاً حسناً فصدق ظنّهم.

يقول عليه السلام:

- «من ظنّ بك خيراً فصدق ظنّه، ولا تضيعنّ حقّ أخيك اتّكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخٍ من أضعت حقّه»[3]...

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/ ٧٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٧٠.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٦/ ١٠٥.

ويقول عليه السلام:

«مَنْ غَلبَ عَلَيْهِ سُوْءُ الظَّنّ لم يَتْرُكْ بينه وبين خليل صُلْحاً»[1].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بالناس جازَ منهم المحبة»[2].

كل ذلك لكي تشيع الثقة بين الناس، فتقوى أواصر العلاقة بينهم، فيصبحوا مجتمعاً متماسكاً صلباً في مواجهة الأنواء.

وكما لا يجوز أن تسيء الظن بالناس كذلك لا يجوز أن تضع نفسك موضع التهمة، وسوء الظنّ.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله من جبَّ الغيبة عن نفسه»[3]...

أما الفرد الذي يضع نفسه في مواضع التهمة، ثم يقول: «دع الناس يغتابوني، فسوف أحصل على أجر عظيم».. فإنّما يجني على نفسه بغير حق، ويناقض نصّ الحديث القائل:

«اتّقوا مواضع التهم»[4]...

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٢٦/١٢٩٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢١٧ ـ ٢١٨/١١٨٨.

(٣) كتب أخبار النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) جامع السعادات ١/٢٨٣.

وجاء في حديث آخر. . .

«مَنّ وقف نَفسَهُ موقف التهمة فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ به الظن»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء، يغيرّ جليسه»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ دخلَ موضعاً من مواضع التهمة فاتُّهِمْ، فلايلومَنَّ إلا نفسه»[3].

وإنما حرّم الدين سوء الظن لكي لا يتمزّق المجتمع الإسلامي من داخله.

وبكلمة، إن الأجواء الصالحة في المجتمع السليم، هي حسن الظنّ، فعلينا أن ننمّي هذه الأجواء ونرفع دائماً الشعار التالي: «لا . . لسوء الظن المطلق. . ولا . . للثقة المفرطة. . نعم، لحسن الظن دائماً». .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: . . .

(١) أمالي الصدوق ٣٠٤/ح ٨.
(٢) أمالي المفيد ٢٢٢/ح ١.
(٣) أمالي الصدوق ٤٩٧/ح ٥.

«لا تثق بأخيك كُلّ الثقة، فإن سرعة الاسترسال، لن تستقال»[1]...

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ابذل لصديقك كل المودّة، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة.. واعطه كل المواساة، ولا تفض إليه بكلّ الأسرار، توفي الحكمة حقها، والصديق واجبة»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام أيضاً:

«لا تثق بالصديق قبل الخبرة»[3].

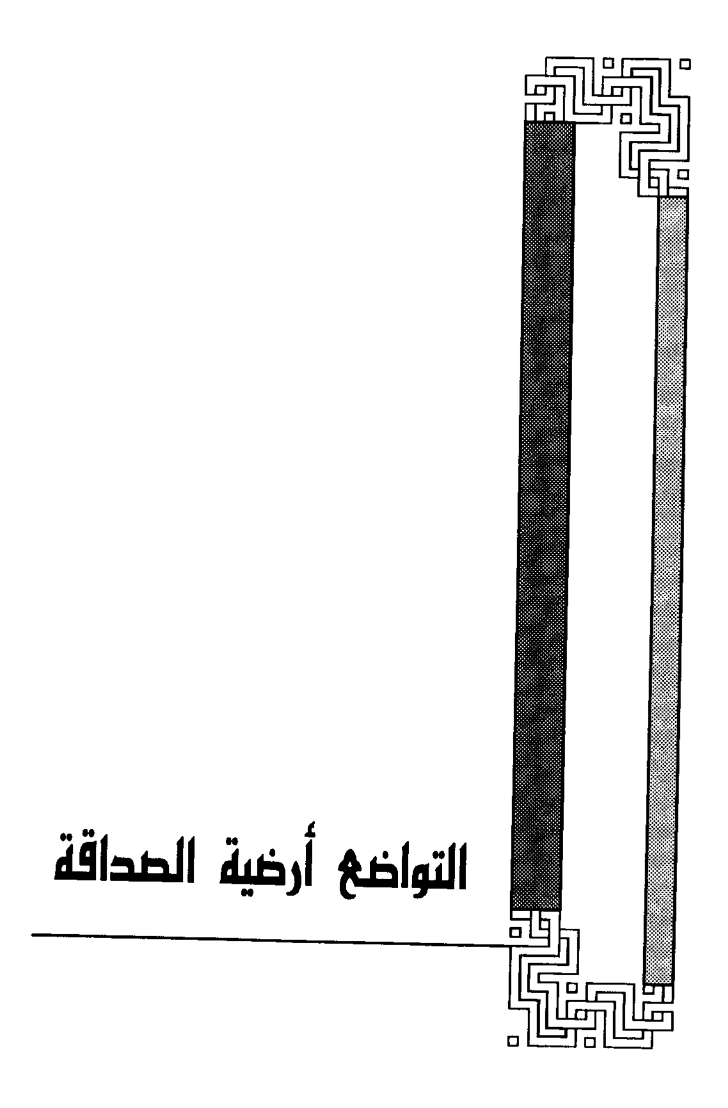
فالحكمة في الصداقة، هي أن لا تثق بالناس ثقة مطلقة، ولكن الصداقة هي أن تواسيهم مواساة مطلقة، فتكون حينئذ وفياً للحكمة وصادقاً مع الإخوان أيضاً.

---

(١) تحف العقول ص ٢٦٣.

(٢) كنز الفوائد ١/ ٩٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٢٣/ ٩٥.



التواضع أرضية الصداقة

جاء في الدعاء المأثور للإمام السجاد عليه السلام:

«اللهمّ صلِّ على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلاّ حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلاّ أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها»[1].

لو سألنا: ما هي الأرضية التي لا تنمو الصداقة إلاّ عليها؟

لكان الجواب قطعاً: التواضع، فبدون التواضع كيف يمكن أن يجتمع قلبان؟

ولو سألنا: ما هو التواضع؟

لكان الجواب: أنه ليس علماً يُقرأ، ولا نظريّة تُحفظ، ولا محاضرة تُلقى، إنّما التواضع فنّ يحتاج الإنسان إلى التدرّب عليه.

---

(١) الصحيفة السجادية ص ٩٩ ـ ١٠٠.

ومن السهولة بمكان أن يعرف الإنسان شيئاً من الزاوية النظرية، ولكن الصعب هو أن يتدرّب عليه، حتى يصبح ملكة له، وجزءاً من تصرّفاته الطبيعية. . .

فأنت يمكنك، خلال دقيقة واحدة أن تتعلّم كيف تقود السيارة، إلاّ أنّك تحتاج من الوقت ساعات من التدريب لكي تقود السيارة فعلاً، وتمارسها بشكل عادي.

هكذا التواضع. . فمعرفة أصوله، وطريقته لا تستغرق وقتاً، ولكنّها بحاجة إلى فترة طويلة حتى يتعلمه الإنسان عملياً ويصبح جزءاً طبيعياً من تصرّفاته.

والآن ما هو المقصود بالتواضع؟.

وإلى أيّ حدّ يكون؟.

والجواب:

دينياً. . التواضع يعني قبول الذلّة بين المؤمنين كما يقول القرآن الكريم:

﴿أذلّة على المؤمنين﴾[1].

والذلّة تعني التصاغر أمام المؤمن، كما تعني الاحترام، والتواضع له.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

وهناك فرق شاسع بين الذلّة النابعة من موقع الاحترام والذلة النابعة من موقع الحقارة.

فالثانية تعني الذلة المصحوبة بالشعور بالخسة والدناءة والتصاغر وهي ما نراه من خضوع مزيّف من قبل الجلاوزة للحاكم المستبدّ مثلاً.

أمّا التواضع فهو الخضوع النابع من الشعور بالاحترام للآخرين، والاعتزاز بهم، فحينما يشعر الإنسان أنّه عبد كريم لله وأن تواضعه لإخوانه المؤمنين إنّما هو تواضع لله، فإنّه في الحقيقة يشعر بالعزّة والرفعة.

وقد وصف الإمام علي عليه السلام هذه الصفة في الإنسان المؤمن بكلمات رائعة، فقال:

«سهل الخليقة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أذلّ من العبد»[1].

إذن التواضع المطلوب، هو الذلّة النابعة من نفس أصلب من الصلد، وليست الذلّة التي يكتنفها شعور بالنقص والضعف والحاجة للآخرين.

على أن هناك أفراداً يشعرون بالزهوّ إذا تذلّل لهم الناس، وقد يشعرون بأنّهم فعلاً «أعلى» من الآخرين و «أعظم» منهم وإن لهم حقاً طبيعياً في تواضع الناس لهم.

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٣٣.

إلاّ إن هذه الحالة الاستعلائية مرفوضة بين الناس. ومن هنا فإن أي تواضع لا ينبع من «العزّة» النفسية فهي مرفوضة.

روى أن الإمام عليعليه السلام عندما قفل راجعاً من صفين مرّ وهو راكب بالشباميين، فاقبل «حرب بن شرحبيل» يمشي مع الإمام راجلاً فقال له الإمامعليه السلام:

«ارجع.. فإنّ مشى مثلك (أي أنه راجل) مع مثلى (وهو راكب) فتنة للوالي ومذلة للمؤمن[1]».

ولقد ذهب الإمام عليعليه السلام إلى أبعد من ذلك حينما منع الناس من إراقة ماء الوجه، في طلبهم للحاجات، وقال قولته الشهيرة ليمتصّ الممارسة الخاطئة للذلّة بين المسلمين إذ قال:

«إن كان لأحد منكم حاجة فليرفعها إليّ في كتاب [رسالة] صوناً لوجهه».

إذن من التواضع أن لا يسمح الإنسان للآخرين أن يستذلوا أمامه.

ولنتعلم من أئمة أهل البيتعليهم السلام كيف نتواضع للناس:

«فقد روى أن الإمام موسى بن جعفرعليه السلام مرَّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلّم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرضعليه السلام عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له، فقيل له:

---

(١) نهج البلاغة باب الحكم ٣٢٢.

ـ «يا بن رسول الله أتنزل إلى هذا، ثم تسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج؟

فقال عليه السلام: «عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم عليه السلام وأفضل الأديان الإسلام»[1]....

ويروى أيضاً أن الإمام الرضا عليه السلام دعا إلى وليمة فجمع عليها مواليه وعبيده من السودان وغيرهم، فقال له أحد المدعوّين من الأثرياء:

ـ «جُعلت فداك لو عزلت (أي الطعام) لهؤلاء (يعني الموالي والعبيد)!.

فقال له الإمام عليه السلام:

«إن الربّ تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال»[2].

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله كان في نفر من أصحابه يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة تنكره بها، فأذن فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله على فخذه ثم قال له: «اطعم....»[3].

هذه عيّنة قليلة من تواضع النبي والأئمّة عليهم السلام، والسؤال

---

(١) تحف العقول ص ٣٠٥.

(٢) جامع السعادات ١/ ٣٥٩.

(٣) المحجة البيضاء ٦/ ٢٢٠.

هو: هل خسر هؤلاء شيئاً عندما تواضعوا للناس؟!.

❁ ❁ ❁

إن التواضع هو أن تفعل للناس ما تتوقعه من الناس، وأن تكون فيهم كأحدهم، تبسط لهم جناح الذلّ من الرحمة، ترضى بالجلوس في أيّ مكان ينتهي بك المجلس.

وأن تتذكّر دائماً أن قيمة المكان بالمكين وليس العكس.

لقد كان المرحوم السيّد محمد الصدر رئيساً لمجلس الوزراء في العراق وكان إذا دخل محفلاً يجلس أينما انتهى به المكان، فإذا أصرّوا عليه أن يحتلّ صدر المجلس كان يجيبهم: «أينما يجلس الصدر، فذلك هو الصدر» ويرفض إلاّ أن يكون متواضعاً.

وتعالوا نرى: كيف كان يتعامل الإمام علي عليه السلام مع من يريد التعالي على الناس، والجلوس في صدر المجلس:

«عن عبّاد بن عبد الله الأسدي قال: كنت جالساً يوم الجمعة وعليّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث بن قيس فجعل يتخطّى الناس وهو يريد الجلوس في الصفوف الأولى، فقال يا أمير المؤمنين: «غلبتنا هذه الحمراء على وجهك».

فغضب الإمام من كلامه، فقال ابن صوحان: ليبيّن اليوم أميرُ المؤمنين من أمر العرب ما كان يخفى...

فقال عليّ عليه السلام:

- «من يعذرني من هؤلاء الضياطرة، يقبل أحدهم يتقلب على حشاياه، ويتهجّد قوم لذكر الله؟! فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟.. والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت محمداً صلى الله عليه وآله يقول: «ليضربنكم والله على الدين عوداً، كما ضربتموهم عليه بدءاً»[1].

«حاصل القول...

إن الإنسان إذا كانت له مكانة رفيعة فإنه أينما يجلس سيتحول ذلك المكان إلى زجاجة عطر تفوح منها أريج الورد، وإن لم تكن له قيمة فإن المكان لا يزيده شرفاً..

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه»[2]..

ويقول أيضاً:

«من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلّم على من تلقى، وأن تترك المراء [الجدال]، وإن كنت محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوىٰ»[3].



---

(١) كتاب الغارات ص ٣٤١.
(٢) جامع السعادات ١/٣٥٨، الكافي ٢/١٢٣/٩.
(٣) جامع السعادات ١/٣٥٨، الكافي ٢/١٢٣/٦.

ومن التواضع:
أن تجلس على الأرض.
يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب، فقال جعفر: فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأىٰ ما بنا وتغيّر وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه، ألا أبشركم؟

فقلت: بلىٰ أيها الملك.

فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله تعالىٰ قد نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان التقوا بوادٍ يقال له بدر، كثير الأراك لكأني أنظر إليه».

فقال له جعفر: «أيها الملك فما لي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان؟.

فقال: يا جعفر إنا نجد فيما أنزل الله على عيسىٰ عليه السلام إن من حق الله تعالىٰ على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لي نعمة محمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع»[1].

(١) المحجة البيضاء ٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً فأعفوا يعزّكم الله»[1].

وقال ﷺ لأصحابه:

«مالي لا أرىٰ عليكم حلاوة العبادة»؟..

قالوا: وما حلاوة العبادة؟

قال: «التواضع»[2].

ومن التواضع أن تحمل حاجاتك بيديك.

فهذه مسلكية تروض الإنسان على التواضع، فلقد كان الإمام علي عليه السلام بعظمته وشرفه وهو حاكم على خمسين دولة، يمشي في الأزقة وهو يحمل على كتفيه حاجاته.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام اشترىٰ لحماً بدرهم فحمله في ملحفته، فقال له بعضهم احمل عنك يا أمير المؤمنين

فقال: «لا! أبو العيال أحق أن يحمل»[3].

وكان يقول عليه السلام:

«لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله»[4].

---

(١) المصدر.

(٢) المحجة البيضاء ٦/ ٢٢٢.

(٣) و(٤) جامع السعادات ١/ ٣٥٨.

ويقول رسول الله ﷺ:

- «إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده، يدفع الكبر عن نفسه»[1].

❀ ❀ ❀

ومن التواضع أيضاً: أن تقوم بما يقوم به الناس.

فكما أنهم يقفون في الصف لاقتناء حاجاتهم، فكذلك أنت، لا تستنكف من ذلك.

يقول رسول الله ﷺ:

«من اعتقل البعير، ولبس الصوف، فقد برىء من الكبر»[2].

والمقصود باعتقال البعير أن يقوم بواجباته الشخصية بنفسه فلا ينتظر من الآخرين أن يخدموه في ذلك.

ويقول عن نفسه ﷺ:

«إنما أنا عبد أكل من الأرض، وألبس الصوف، وأعقل البعير، وألعق أصابعي، وأجيب دعوة المملوك.. فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].



(١) المحجة البيضاء ٦/ ٢٢٢.

(٢) ميزان الحكمة ٨/ ٣١٤، جامع السعادات ١/ ٣٥٨.

(٣) جامع السعادات ١/ ٣٥٩.

ومن التواضع: أن لا يتميز الإنسان على أقرانه.

فالناس ليسوا عبيداً، ولا يجوز لأحد أن يتصنع الربوبية عليهم.

فـ «كلكم من آدم.. وآدم من تراب»[1].

فالتمايز الحقيقي إنما هو في الإيمان والتقوى.

أما أن يتمايز الإنسان لعلم عنده، أو مال لديه، أو وجاهة في المجتمع، فهي من الجاهلية التي لم ينزل الله بها من سلطان!.

وهنا أتذكر رجلاً اشترى في مدينة فقيرة سيارة من نوع (رولز رايز)، فقلت له: ما هو امتياز هذه السيارة عن غيرها؟».

فقال: «ليس لها امتياز بحجم اسمها! ولكنها تمنح صاحبها الشعور بالامتياز!

ولقد ضرب الإمام علي عليه السلام، مثلاً رائعاً للذين يحاولون أن يميزوا أنفسهم عن الآخرين عندما قال:

ـ «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى رجل جالس، وبين يديه (أُناس) قيام»[2].



(١) حكمة الرسول الأعظم ص ١٠٤.

(٢) جامع السعادات ١/٣٥٩.

ومن التواضع أيضاً: أن نعطي للناس ما نحب أن يعطونا.

فلقد جاء في الحديث عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال:

«التواضع: أن تعطي للناس ما تحب أن تُعطى»[1].

فكيف ترغب من الناس أن يعاملوك؟،

وكيف تريدهم أن يتكلموا معك؟ وما هي الحدود التي لا تريد لهم التدخل فيها؟.

حدد كل ذلك، ثم تعامل مع الناس على هذا الأساس.

دعنا نتعرف على تواضع رسول الله، فهو بالنسبة لنا القدوة الحسنة في الحياة... فقد فرض بتواضعه الكبير احترامه، ليس على الجيل الذي عاصره فحسب، بل على البشرية جمعاء.

يقول ابن عامر:

«رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك»[2].

وكان يركب الحمار مؤكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف[3].

---

(١) الكافي ٢/ ١٢٤/ ١٣.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٣٦، سنن النسائي ٥/ ٢٧٠.

(٣) صحيح البخاري ٧/ ٢١٧.

وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك[1]، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، وكان يسعى في بيته مع أهله في حاجاتهم[2].

وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك[3].

وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم[4].

وأتي ﷺ برجل فارعد من هيبته فقال ﷺ:

هوّن عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[5].

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يعرفه، فبنوا دكاناً من طين فكان يجلس عليه[6].

وقالت له عائشة: كل متكئاً فإنه أهون عليك.

فأصغىٰ برأسه حتىٰ كاد يصيب جبهته الأرض، ثم قال:

---

(١) الشمائل للترمذي ص ٢٣.
(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٩٠.
(٣) سنن الترمذي ١٠/ ٢١٢.
(٤) صحيح البخاري ٨/ ٦٨.
(٥) الحاكم ٢/ ٤٦٦.
(٦) سنن أبو داود ٢/ ٥٢٧.

«بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتىٰ ألحق بالله عز وجل[1].

وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال: لبيك[2].

وكان إذا جلس مع الناس إن تكلّموا في معنىٰ الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم، رفقاً بهم وتواضعاً لهم.

وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، ويبتسم هو إذا ضحكوا[3] ولا يزجرهم إلا عن حرام»[4].

وكان يشتري من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يلعق الطعام بيده.

وكان يصافح الغني والفقير، والكبير والصغير، والأسود والأبيض، وكان هو المبادر بالسلام عليهم.

ولم تكن له حلة لمدخله، وأخرىٰ لمخرجه، وإذا ما

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٩١.
(٢) مجمع الزوائد ٩/ ٢٠.
(٣) صحيح مسلم ٧/ ٧٨.
(٤) المحجة البيضاء ٤/ ١٥١ ـ ١٥٢.

دعي - ولو من قبل شخص أشعث أغبر - كان يستجيب لدعوته، ولا يحقر ما دعى إليه أبداً، وإن كان خبزاً، أو ماءاً.

وكان ﷺ، هين المؤونة، ليّن الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، وكان من صفاته أنه دائم البشر من غير ضحك، ومحزوناً من غير عبوس[1].

وكان حازماً في لين، متواضعاً من غير صغار، وحليماً من غير استسلام.

وجاءت عظمة تواضعه، لكونه أشرف القوم، وأقدسهم وأكثرهم تواضعاً..

يقول الله تعالى:

﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾[2].

ومن هنا فإن الله يمقت الِكبر، لأن الكبر يشكل أرضية التمزق والشقاق.

يقول تعالى:

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون﴾[3].

وفي الحقيقة فإنّ سبب التكبر أحد أمرين:

---

(١) جامع السعادات ١/ ٣٦١.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

إما إحساس بالرفعة، والتعالي، وهذا النوع قليل..

وإما شعور بالحقارة والخسّة، وهو الأكثر حيث أن الذي يشعر بدنائة نفسه يحاول أن يستبدله بفرض نفسه بالقوة على الآخرين.

فحيث أن المتكبر يشعر أنه الأحقر، يحاول أن يثبت للآخرين أنه الأكبر، فيدخل في متاهات القتل والإجرام، والإفساد. تماماً كما هو الحال عند الملوك والرؤساء، الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وامعنوا في الزهو والخيلاء.

أتظنون.. أن أمثال هؤلاء كبار عند أنفسهم؟.

كلا.. فإن شعورهم الداخلي يوحي إليهم بأنهم حقراء وساقطون من أعين الناس..

ولذلك فإنهم يحاولون إثبات العكس فيعنّفون مع الناس، ويتطاولون على الإنسانية، ويتجاوزون الحدود.

ولقد قال قدوتهم «فرعون»: **﴿أنا ربكم الأعلىٰ﴾**[1]!.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من رجل تكبر أو تجبر، إلا لذلة وجدها في نفسه»[2].

---

(١) سورة النازعات، آية: ٢٤.

(٢) المحجة البيضاء ٦/٢١٨.

وفي المقابل فإن التواضع نابع من الشعور بالرفعة والعزة، ولذلك فإن المؤمن إذا رأى أن الناس يجلونه ويعلون مقامه، يلتجىء لله بالدعاء ويطلب إليه أن لا تتحول هذه المكانة بين الناس إلى تعالٍ عليهم أو تكبر.

وكم من دعاء يطلب العبد من ربه أن لا يرتفع عند الناس درجة إلاَّ ويحط عند نفسه بقدرها. كما نقرأ ذلك في دعاء الإمام السجاد: «اللهم ولا ترفعني في الناس درجة إلا حطتّني عند نفسي مثلها»[1].

يقول الإمام الصادقعليه‌السلام:

«من حقّر الناس، وتجبّر عليهم، فذلك الجبار»[2].

ويقولعليه‌السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[3].

ويقولعليه‌السلام: «إن يوسفعليه‌السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوبعليه‌السلام دخله عزَّ الملك، فلم ينزل إليه فهبط عليه جبرئيل فقال: يا يوسف أبسط راحتك.. فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء.

فقال يوسف: «يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟

(١) مفاتيح الجنان، دعاء مكارم الأخلاق.

(٢) منية المريد ص ٣٣١.

(٣) منية المريد ص ٣٣١، المحجة البيضاء ٦/ ٢١٢.

قال: «نزعت النبوة من عقبك، عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي»[1].

إن الجبروت لله وحده، وإن الكبرياء لله الذي لا شريك له، ومن تكبر فكأنه ينازع الله في رداء الجبروت.

يقول تعالى في حديث قدسي:

«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي»[2].

ويقول رسول الله ﷺ:

- «بئس العبد، عبد تجبّر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى..»[3].

«وبئس العبد، عبد تجبر واختال، ونسي الكبير المتعال..»[4].

«وبئس العبد، عبد سهىٰ ولهىٰ، ونسي المقابرُ البلىٰ..»[5].

«وبئس العبد، عبد عتا وبغىٰ، ونسي المبدأ والمنتهى..»[6].

(١) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٧.
(٢) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٣.
(٣) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٣.
(٤) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٤.
(٥) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٤، مجموعة ورام ١/ ١٩٨.

نعم.. إن من يتكبر على الناس.. ينسى الجبار الأعلىٰ، وإلا لما تكبّر، في حضرته

ومن هنا فلا غرابة إذا عرفنا، أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة، في صورة «الذر»، والخلق في المحشر يدوسونهم، وهم يتألمون ويصرخون..

يقول النبي الكريم ﷺ:

«يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذَّرِّ تطؤهم الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس، يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال وعصارة أهل النار»[1].

ويقول ﷺ:

«إن في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم»[2].

وفي الواقع إننا لو فكرنا عميقاً، في سر اهتمام الإسلام، بتطهير الناس من الكبر لتوصلنا إلى هذه الحقيقة: فإن السبب وراء تحريم «الكبر» إنه سبب كثير من الموبقات، فالطغيان مثلاً لا يقع إلا على يد من يرى نفسه فوق الآخرين، وهو أيضاً سبب الاستعمار والاستغلال.

---

(١) (٢) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٥.

وهكذا فإن التكبر ليس مفسدة للصداقة فحسب، بل مفسدة للأمم أيضاً...

ومن هنا فلا بد من محاربة الكبر في منبعه أي في قلب الإنسان.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«كفى بالمرء غروراً، أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه[1]»...

ويقول: «كفى بالمرء منقصة أن يعظّم نفسه»[2].

ويقول عليه السلام في كلمة أخرى:

«من تكبر على الناس ذل»[3].

ويقول عليه السلام:

«شر آفات العقل الكبر»[4].

ويقول عليه السلام:

«ما تكبَّرَ إلا وضيع»[5].

---

(١) المحجة البيضاء ٦/ ٢١٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٩٧/ ٤٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٩٧/ ٤٣.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ١٦٥/ ٣٣٤.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٦٠/ ١٥.

فلا ترى عاقلاً يتكبر على الناس، أما خفاف العقول فيرون أنفسهم فوق الآخرين وأعلاهم. مثلما يتكبر أحياناً من حصل على قليل من العلم أو قليل من المنصب. فتراه يعجب بنفسه وكأنه خرق الأرض، أو بلغ الجبال طولاً.

وقد ورد في الحديث الشريف:

«ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر، إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قلّ أو كثر»[١].

إن المجتمع يحب المتواضع، ويمقت المتكبر، فالناس يحبون الجلوس مع المتواضعين، الذين يتنازلون عن عظمتهم بحضرتهم. وينفخون فيهم روح العزة والكرامة ولا يرتاحون أبداً، مع المتكبرين عليهم.

ومن هنا فإن التكبر يحبط الأعمال الصالحة، وهو معصية الروح.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«اعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدرى أمن سني الدنيا، أم من سني الآخرة»[٢].

فالله إذن أحبط عمل إبليس الذي عبد الله ستة آلاف

---

(١) بحار الأنوار ٧٨/١٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٣/١٣١.

سنة، لأنه تكبر ساعة واحدة، فهل يمكن أن يدخل الله غيره الجنة إذا تكبر وتجبّر؟.

يروى أن رسول الله ﷺ مر برجل «مختل العقل»، وقد اجتمع الناس حوله، فقال النبي:

ـ «ما هذا؟

ـ «قالوا مجنون يصرع.

فنظر إليه رسول الله ﷺ، وقال:

ـ «ما هذا بمجنون، وإنما هذا لمبتلى، ألا أخبركم بالمجنون حقاً؟.

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

فقال: «إن المجنون حقاً، المتبختر في مشيه، الناظر في عطفه، المحرك جنبيه بمنكبيه، الذي يرجو من الله رحمته، وهو مقيم على معصيته!.. فذاك المجنون حقاً».

فالمجنون هو المتكبر على الناس المتباهي بنفسه.

ثم على مَ يتكبر الإنسان؟

ينقل لنا التاريخ:

«إن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسجها ويمشي الخيلاء، فقال:

ـ «يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلب (وكان يومئذ والي خراسان):

ـ «أما تعرفني؟

فقال: «بلى.. أعرفك: أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بَول وعذرة»[1].

يقول الإمام علي عليه السلام:

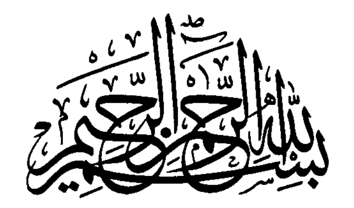
ـ «عجبت لابن آدم أوله نطفة وآخره جيفة وهو قائم بينهما وعاء للغائط ثم يتكبر؟»[2].

---

(١) أدب الدين والدنيا ص ٢٣١.

(٢) علل الشرائع ٢٧٦/ح ٢.

الفهرست


بسم الله الرحمن الرحيم